

المقتطف في

الجزء الثاني من المجلد السادس بعد المائة

١ فبراير سنة ١٩٤٥

١٨ صفر سنة ١٣٦٤

أغاز العلم

العلم أسلوب من أساليب الكشف عن الحقيقة — حقيقة المادة وحقيقة الحياة . وهو أسلوب أسفر تطبيقه خلال القرن ونصف القرن الماضيين ، عن آيات تبهر النفس ، وتعين على تيسير الحياة ، ويناط بها الأمل حين يحزب الأمر ، بكسب الحرب من ناحية ، او الارتفاع بالإنسان إلى مستوى أعلى من العيش والفكر والأخلاق من ناحية أخرى . وعلى أن العلم في العصر الحديث كشف كثيراً مما كان مستعصماً عن فهم البشر ، منذ قرن أو نصف قرن . وحسب ، فإن العلماء لا يزالون على عهدنا بهم في كل عصر ، ذوي دعة يتنكبون التبجح ، ويقبلون على بحوثهم إقبال نيوتن حين قال : أراني واقفاً على ساحل بحر الحقيقة ولما التقط من درر حصائيه سوي حجر واحد .

فهم يعترفون بأن الأمر الذي تمصصهم وتوعى اليهم لم تزل فوق الحصر ، وقد استفتى باحث علمي منذ عهد قريب طائفة كبيرة منهم ، في أغاز العلم التي ما فتئت تحيّرهم ، فإذا السكرة ممن استفتى تقدم الأغاز السبعة التالية .

١ — لغز عصر الجمد

حدث مراراً خلال العصر الجيولوجي الأخير ، المتغلغل مليون سنة في جوف الزمان ، أن غطى مساحات واسعة من سطح الأرض غشاءً فسيح كثيف من جمد ، بدأ يتكوّن عند القطبين الشمالي والجنوبي ، ثم جعل يمتد ويتسع ، جنوباً من الشمال ، وشمالاً من الجنوب . ففي القارة الأمريكية ، بلغ الغشاء النازل من الشمال حدود فرجينيا ، وفي أوروبا حدود فرنسا

وروسيا . ويذهب فريق من علماء طبقات الأرض ، إلى أن كتلة هذا الغشاء من الجمد ، أغرقت الأراضي الواطئة في شمال أميركا الشرقي ، ولكنها حادت فارتفعت فوق سطح المحيط . وكل غزوة من غزوات الجمد هذه ، استغرقت زمناً طويلاً ، فهلك كل حي في المناطق التي شملتها ، أو فر منها ، إن كان قادراً على الحركة ، إلى الأقاليم الدافئة . والغالب أن الاقليم كان في الزمن بين غزوة وأخرى ، معتدلاً في المناطق التي غطتها الجمد . فترعرع النبات وتكاثر الحيوان وزخرت الحياة بوجه عام .

فما كان الباعث على هذا ؟ وهل يحتمل أن يعود الجمد فيغطي مناطق واسعة من سطح الأرض ؟ هذان السؤالان مجتمعان ، هما أحد ألغاز العلم الحديث . ويقول العلماء إنهم إذا أخذوا بالاحتمال الرياضي وحسب ، فالغالب أن يعود عصر الجمد مرة أخرى ، فيرتحل عن المناطق الشمالية البشر والحيوان ، ويقضى على منشآت الحضارة فيها . وعندما أن الأرض تجوز الآن الزمن المتوسط بين عصرين من عصور الجمد ، وأنها جازت منتصفه ، أي أنها بلغت أقصى الدفء ، وهي سائرة سيراً بطيئاً في طريق البرد الشديد . بل هم يعتقدون كذلك ، أن الاقليم Climate ما فتى يزداد برداً ورطوبة ، منذ بضعة ألوف من السنين . ولكن يقابل هذا ، أن إنسان العصر الحديث ، أحسن أهبة من إنسان الكهوف لمواجهة طواريء البرد الشديد ومكافحة الجمد .

وقد تضاربت الأقوال في تفسير هذه الظاهرة الطبيعية العجيبة . فقد قال بعضهم أن ثمة تحول في محور الأرض ، أي أن مركز دوران الأرض كان في عصر الجمد ، في مكان غير مكانه الآن ، وأن أشعة الشمس كذلك ، سقطت على سطح الأرض من زاوية غير زاوية سقوطها في هذا العصر ، فأثر ذلك في الاقليم تأثيراً عظيماً . فيرد علماء الطبيعة والفلك ، ردّاً قوياً ، بأن تحولاً من هذا القبيل في مركز دوران الأرض يكاد يكون مستحيلاً . وقال فريق آخر إن فعلاً بركانياً عنيفاً رفع جبلاً شاهقة فوق سطح الأرض في المناطق الشمالية ، فأحدث ذلك برداً شديداً وبداً حالة الاقليم تبديلاً عظيماً . ولكن هذا القول إن صدق على المناطق الشمالية ، فإنه لا يفسر ما حدث في النصف الجنوبي من الكرة ، والحاجة إنما إلى تفسير يصدق في الحالين . والعلماء يعتقدون أن هبوط الحرارة ، شلل الأرض كلها ولكنه تجلى تجلياً عنيفاً في المناطق الشمالية والجنوبية . فهل حدث شيء في الشمس ؟ هل ثارت فيها سلسلة من الزوابع العاتية ، غطت بعض سطحها ، فأضعفت تأثير أشعتها في جو الأرض وسطحها ؟ هذا تفسير ، ممكن ولكنه غير مرجح ، أو هل مرت المجموعة الشمسية ، أثناء انطلاقها المريع في الفضاء ، خلال منطقة باردة بالغة البرد في تلك الرحاب

الفسيحة النائية؟ إن العلم يأبى الأخذ بهذا الرأي. أو هل نقص مقدار ثاني أكسيد الكربون في الهواء فضعف فعل الدثار الذي يحفظ حرارتها ويقيها برد الرياح الخارجية الخاوية؟ وهذا غير محتمل على ما يقولون. أو هل اصطلاح المد والجزر والرياح اصطلاحاً ما على إحداث هذه النتيجة؟ يتعذر على العقل أن يتصور اصطلاحاً من هذا القبيل، حدث أربع مرات متعاقبة، وظل قائماً كل مرة، دهرأ طويلاً، ربما لا يقل على ربع مليون من السنين. فالجواب عن السؤال: ما سبب عصور الجمد في الزمن الماضي، وما يحتمل أن يكون الباعث عليها في الزمن المقبل، لا يزال مكانه بياضاً في صفحة العلم الحديث.

٢ - لغز الاشعة الكونية

كل بوصة مربعة من سطح الأرض، عرضة كل ثانية من ثواني الليل والنهار، لاشعة خفية قوية تنطلق من رحاب الفضاء، فتصيب سطح الأرض فيما تصيبه من الأجسام التي تعترض سبيل انطلاقها. وطاقة هذه الأشعة عظيمة تبلغ الوف الوف من وحدات الطاقة الكهربائية. ومع ذلك فإنها لا تحدث من الأثر البادي ما يستوقف النظر. والعلماء لم يتبينوها إلا من أثرها في تمزيق بعض ذرات المادة إما على سطح الأرض وإما في الغلاف الغازي الذي يحيط بها. وقد يبلغ من شدة وقع الأشعة في الذرة مبلغاً عظيماً لا يكاد ينصوره عقل. حين تفتق ذرة ما، بفعل من هذا القبيل، وتنحل وتنطلق أجزاؤها في الفضاء، فقد تكون سرعة بعضها قريبة من سرعة الضوء، وهي ١٨٦ ألف ميل في الثانية. فهذه هي الأشعة الكونية ^(١) وهي من بعض النواحي قريبة الشبه بالأشعة السينية، ولكنها تختلف عنها في أن بعض الأشعة الكونية تحمل شحنة كهربائية موجبة، على حين أن الأشعة السينية، هي أشعة ضوء شديدة النفاذ، ولا تحمل شحنة كهربائية ما. ولما كانت الأرض في منزلة مغنطيس كبير دائر، فإن الأشعة الكونية الموجبة الشحنة، تنحرف حين تدخل جو الأرض، بتأثير مغنطيسية الأرض، فتميل إلى الانحراف نحو قطبي الأرض المغنطيسيين. وهذا هو أحد الأسباب، التي تجعل قوة الأشعة الكونية متفاوتة بتفاوت مكان الراصد على سطح الأرض. ويبدو أن الأشعة تأتي من الغرب أكثر مما تأتي من الشرق — في نصف الكرة الشمالي — ولعل هذا يرجع إلى الانحراف المغنطيسي لأن مقر القطب المغنطيسي في مكان ما في شمال القارة الأمريكية. ولما كان الهواء يمتص جانباً كبيراً من هذه الأشعة فهي أقوى في طبقات الجو العليا منها على سطح البحر. وقد وجد الباحثون في

العهد الأخير شيئاً من التفاوت في قوتها بتفاوت خطوط العرض والطول
والرأي الشائع أن الأشعة الكونية ينحل بعضها ، حين تدخل جو الأرض فتتحول إلى
دقائق تعرف الدقيقة منها باسم «ميزوترون» ، ومدة حياة هذه الدقيقة غاية في القصر وربما
لا تزيد على بعض ثانية . ولكن «الميزوترون» متصف بقدرة خارقة على النفاذ من الأجسام .
فهو يستطيع أن ينفذ من لوح من الرصاص سمكه بضعة أمتار ، مع أن طبقة رقيقة منه يجب
الأشعة السينية . وحين ينحل «الميزوترون» تتكوّن منه — في بعض الرأي — دقيقتان
غاية في الصغر يطلق على أحدهما اسم «الكهرب» ، والآخر اسم «النترينو» . والنترينو
جسم فرضه العلماء فرضاً ، ولم يقيم دليل على وجوده المادي بعد .

وعلى قدر ما يسبر العلماء غور الأشعة الكونية ، يزدادون إيماناً بما لها من شأن عظيم
فهي تهشم الذرات حين تصدمها في كل بوصة مكعبة من الفضاء ، ولذلك فلا بد من أن
يكون لها أثر في أجسامنا . فماذا تفعل فيها ؟ إن قوام كل عامل من عوامل الوراثة في الصبغيات
(الكروموسومات) — بحسب الرأي الحديث — جزء مفرد من البروتين . فمن الجائز أن يكون
للأشعة الكونية أثر في هذا البناء العضوي . وإذا حدث تغير ما في بناء عامل الوراثة
حصل ما يعرف في علم الوراثة بالتحول الفجائي . والتحول الفجائي لم يزل خير تفسير لتطور
الحياء . طبعاً إن القول بتأثير الأشعة الكونية في عوامل الوراثة داخل في باب التخمين .
وعلماء الأحياء لا يقرونه . ولكننا نعلم أن الأشعة السينية ، على ضعفها بالقياس إلى الأشعة
الكونية ، تؤثر في عوامل الوراثة ، وتحدث في بعض الأحياء تحولات فجائية عجيبة . وقد
جرب ذلك بذبابة الفاكهة (دروسوفيلا) تجريباً خاضعاً لقواعد البحث العلمي المحكم . وقد
ذهب أحد الكتاب العلميين الذين ينحون نحو الفلسفة إلى القول منذ سنوات ، بأن الكرة
الأرضية جازت خلال انطلاقتها في الفضاء مناطق تكثر فيها الأشعة الكونية ، وأخرى
تقل فيها هذه الأشعة ، ففي المناطق الأولى كان التطور العضوي وظهور الأنواع الجديدة
سريعين كل السرعة وفي المناطق الثانية ، كان التطور العضوي بطيئاً البطء كله .

وقد اختلف العلماء في منشأ هذه الأشعة ؟

بني مليكن نظريته ، على أن هذه الأشعة هي اشعاعات كهرومغناطيسية (كهرومغناطيسية)
أوفوتونات من قبيل الأشعة السينية وأشعة غمّا . ولكنها أكثر من هذه الاشعاعات
أمواجاً وأشد اختراقاً للأجسام . وكان هذا الفرض طبيعياً لشدة نفوذ الأشعة ، ثم صمد
مليكن إلى الرياضة والطبيعة معاً ، فقال إن أشعة لها نفس قدرة النفوذ التي تنصف بها
الأشعة الكونية ، يمكن أن تتولد إذا اجتمعت أربع ذرات من الايدروجين ، واتحدت

فتكون من اتحادها ذرة من الهليوم . فالطاقة التي تنطلق من هذا الاندماج ، هي في قوتها وقدرتها على اختراق الاجسام ، من رتبة الأشعة الكونية .

لذلك أشار ملىكن الى شعاعة منها بقوله « إنها صراخ ذرة عند ولادتها » في رحاب الفضاء ، فكان قوله هذا نفخاً في بوق أهاب بالعلماء الى البحث

وعلى هذا القياس قيل ان تولد ذرات العناصر التي تفوق الهليوم في وزنها الذري — كالكسجين والسليكون — يثبىء أشعة كونية ، من درجات متفاوتة في قدرتها على اختراق الاجسام المادية ، وان هذه الذرات تتفاوت بفعل التجاذب ، فتتكون منها السدم ثم النجوم . وتشع السدم والنجوم مادتها بنحوها الى ضوء وحرارة ، وتنطلق الطاقة الشاعية منها في رحاب الكون ، فتتحول في خلال رحلتها الطويلة — وهذا فرض فلسفي — الى بروتونات وكهبريات ، ومن هذه الدقائق تتألف ذرات الايدروجين ومن اجتماع ذرات الايدروجين تتكون ذرات الهليوم فذرات عناصر أخرى وتنطلق أشعة ، وكذلك ترى الكون بحسب رأي ملىكن ، يبتدىء من حيث ينتهي

ما كاد ملىكن يطلع بنظريته هذه ، حتى قال جينز برأي يخالفها . فالأشعة الكونية ، في نظره ، رسائل تنبىء بفناء المادّة وتلاشيها ، لا بتولدها . واتخذ من الحساب الرياضي أساساً لتأييد القول المشهور في علم الطبيعة ، وهو أن الكون يتدرج انحطاطاً في مقدار الطاقة الفعالة التي فيه ، الى حيث لا رجعى . فالكون بحسب ناموس « الثرمودينامكس » الثاني ، وحساب جينز ، سائر الى نهاية ، ولا عود له منها .

ثم جاء باحث طبيعى فرنسي شاب يدعى دوفيليه ، فاقترح نظرية أخرى لتفسير أصل الأشعة الكونية ، ولكن الأصل الذي بنى عليه نظريته هو أن الأشعة الكونية ليست مؤلفة من فوتونات ، بل هي كهبريات تنطلق من الشمس الى الأرض ، من مناطق عالية الضغط الكهربائي في الشمس ، فيدنو بعضها من جو الأرض فيؤثر في جوها ، فيحدث الأضواء القطبية الباهرة ، ويمزق ذرات الغازات في الهواء فتتطاير شظاياها .

ولعل أغرب الآراء التي اقترحها العلماء لتعليل نشأة الأشعة الكونية ، هو رأي الآب لومتر الفلكي الطبيعى البلجيكي وهو صاحب الرأي القائل بأن الكون كان من ألوف ملايين من السنين ، مركزاً في حيز ضيق ، ثم اختل استقراره الداخلي ، فانفجر فجأة ، فانتثرت منه السدم فأخذت تبعث بعضها عن بعض ، وما فتئت تتباعد . على انه يقول ان الأجزاء التي انتثرت من الكون عند انفجاره لم تكن سدماً ونجوماً فقط ، بل كان منها دقائق صغيرة جداً ، ذرات وكهبريات وفوتونات ، وعنده ان هذه الدقائق المتناهية في الصغر ، التي ما فتئت

تجوب رحاب الفضاء من بداية الكون ، هي الأشعة الكونية .

فهل ثمة سبيل الى معرفة الحقيقة في طبيعة هذه الأشعة ؟ وهل هي فوتونات كما يقول مليمكن وجينز ، أو كهيربات كما يقول دوفيليه ، أو مزيج من أشعة ودقائق مختلفة كما يقول لومتر ؟ ولا يزال البحث مستمرًا ، ولكن ليس ثمة ما يشير إلى أن اللغز قد حل .

٣ - لغز الزكام

ان الزكام أكثر العلل التي تصيب الناس شيوعاً وأشدّها غموضاً وتحيراً للعلماء . وعلى أنه يصيب عشرات الملايين من الناس كل سنة ، وينزل بالصناعة والتجارة خسارة تقدّر بمئات الملايين من الريالات ، لتغيب المزمومين عن أعمالهم ، وتقبعه أحياناً علل أخرى بعضها مميت ، فان العلم قلما يعرف عنه شيئاً ، مع ان المنشآت العلمية انفتحت في العهد الأخير أموالاً طائلة في سبيل البحث عن سببه ومنشأه وكشف طرائق لعلاجه والبرء منه .

والفرض الغالب في دوائر العلم والطب ، ان سبب الزكام « فيروس » راسح ، ولكن الدليل على صدق هذا القول ليس قاطعاً . ورجال الطب والبحث الطبي يعرفون أن تمرض الناس للإصابة بالزكام يختلف باختلاف الناس . وقد يكون هذا موروثاً . وقد حضّرت أنواع شتى من اللقاح ولكن كفة الدليل على وقائها بالغرض مرجوحة لا راجحة .

ومن الأقوال الشائعة عن ميكروب الزكام إنه يحل بساحة كل امرئ ، ان كانت الحموضة غالبية على جسمه ، فلكي يتجنب الزكام أو يدفعه عنه عليه أن يتخذ من المواد القلوية ما يعمل هذه الحموضة ويعمل بجسمه إلى القلوية . على ان العلم يقول إن هذا الرأي هراء لا طائل تحته . فلو زادت الحموضة في الجسم زيادة يسيرة ، لغلبت الغيبوبة على الجسم ولتبعثها الوفاة على الأثر . ومن حسن الحظ أن الأدوية التي توصف لجعل الجسم « قلويًا » لا تؤثر في الجسم تأثيراً ما من هذا القبيل ، لأنه لو مال الجسم إلى « القلوية » ميلاً يسيراً ، لاصيب بالتشنج ولكان احتمال الموت كبيراً .

ومع أن العلم لم يكشف سر سبب الزكام ونشأته فانه هياً وسائل شتى لمنعه كاستعمال المصابيح التي تشع ضوءاً يفتك بجراثيمه المنطلقة في الهواء ، ولكن هذه الوسيلة تدخل في باب الوقاية لا في باب العلاج .

على ان العلماء مجمعون على ان خير ما تنقي به الزكام هو العافية . وهم يشيرون على من يدركه الزكام أن يلتزم الفراش ، وإذا شاء أن يزدد ما شاء من الحبوب ، وأن يغسل حلقه بما شاء من المحاليل ، فله أن يفعل ذلك ، ما زال يفهم أن كل ذلك إنما يخفف من أعراض الزكام وحسب ، فليس لهذه العلة الشائعة علاج شافٍ معروف .

فؤاد صروف

على هامش الطب

بعض ما يجب أن يعرف الانسان

عن جسمه ونفسه في صحته ومرضه

للككتور سليمان عزمى باشا

• من الملاحظ أن الحيوانات ذوات الوبر يقل وبرها صيفاً ويغزر شتاءً وهواة الكلاب ومربو الحيوانات ذوات الوبر الغزير، يقصون أو يحزون وبرها قبل الصيف، لا مجرد استغلال صوف الغنم مثلاً، بل لتخفيف الوبر لسكي يسهل تصريف الحرارة من الجسم بالإشعاع وتوصيلها إلى خارج الجسم. ولهذا السبب نقص شعر الخيل والحمار والجمال وغيرها، وصائدو حيوانات الفراء يعرفون ذلك فيصطادونها شتاءً وصانعو الفراء من جلد الأرانب يصنعونها من جلدها في الشتاء للسبب عينه.

عرف الانسان بالخبرة قيمة الملابس صيفاً وشتاءً وتكوّنت هذه الغريزة عند الشعوب بنوالي العصور ثم تفنّن في صنعها وزينتها وتغالت السيدات في تنويعها. وفي البلاد الباردة نجد الشعوب ترتدي الملابس المحكمة وتصنعها من الصوف. وفي البلاد الحارة ترتدي الملابس الخفيفة غير المحكمة لتسهيل تخلل الهواء فيها لتخفيف العرق وتلطيف حرارة الجسم. وعند ما تعودت شعوب البلاد الحارة لبس الملابس الأوروبية، وعند ما حلّ سكان البلاد الباردة في البلاد الحارة واستمروا على لبس ملابسهم الأصلية، وجدوا عدم ملائمتها للعجو الحار، فبحث في ألوانها لمعرفة أي الألوان أنسب للبلاد الحارة. وعلى هذا نرى أن حلة السمرة المعروفة باسم Smoking قد استبدل بنسيجها الأسود تيل أبيض. ثم ابتدعوا الملابس القصيرة غير المحكمة «شورتس» المصنوعة من النسيج الخفيف، والغرض من ذلك تسهيل تصريف الحرارة بتخلل الهواء داخلها وبتعرض جزء من أطراف الجسم للهواء حتى تنصرف الحرارة من الجلد بواسطة الإشعاع وتبخر العرق. ونرى ذلك نفسه يتبع في الألعاب الرياضية شتاءً لأن حركة العضلات تولد حرارة زائدة، ولا بد من مخرج لها لتكثيف البنية حرارتها وتبخرها نابتة قريبة من الحرارة الطبيعية للانسان، ولهذا السبب يلبس ممارسو الألعاب الرياضية

أثناء لعب كرة القدم والتنس وغيرها ملابس اللاعب الخاصة ، وهي لا تغطي الجسم كله على نظرية لبس « الشورتس »

• يلاحظ عند انتقال إنسان من جوٍّ حارٍّ إلى جوٍّ بارد حصول رعشة في العضلات قد تكون موضعية في الفك وقد تعم الجسم ، وهذه الرعشة هي مشاركة العضلات في المساعدة على زيادة الحرارة ، فيزيد عملها لتتولد حرارة أكثر ، وهي ظاهرة من ظواهر تكيف البنية للمحافظة على حرارتها حتى تقاوم البرد . ويزى الإنسان يفرك يديه فيحرك عضلات الذراعين ليزيد عمل عضلاته فيزيد تولد الحرارة . ولكن هذه الرعشة أو الرجفة تعد منبئاً لنا بأن حرارة جسمنا تأثرت بالبرد ، وأن العضلات أخذت تعمل لدرء ضرره ، وتنبهنا لكي نحترس بوسائل أخرى للمحافظة على حرارة جسمنا ، لأننا لو تركنا الحيلة وشملت الرجفة عضلاتنا كلها وزادت ، انتهى بها الحال إلى أن تخور . فلهذه الرعشة ثلاث خواص : الأولى مساعدة البنية على التكيف بحرارة الجو البارد ، ونحن نقلدها بفرك أيدينا ، وبتهريك أرجلنا . والثانية : إنذار البنية لنا بالاحتراس ، والثالثة : ان الرعشة إذا زادت وعمت الجسم كانت إنذاراً آخر بأن البنية أوشكت أن تخور وتضعف أمام البرد القارس . وكل هذا التكيف في حد المعقول ، إذ لا يمكن أن يستمر تكيف البنية مدة طويلة في جو غير ملائم ، ومن هنا يحدث أكثر الأخطار من تعرض الإنسان مدة طويلة لبرد قارس أو لقيظ لافح . وإذا قصص حرارة الجسم بسبب البرد فأنها ترجع تدريجاً ببطء يتناسب مع الدرجة التي هبطت إليها . وعرف بالتجارب ان من تهبط حرارته البدنية إلى ٣٥ درجة مئوية ، بسبب البرد وينقل إلى غرفة دافئة ويدثر باحتراس ترتفع درجة حرارته تدريجاً وتعود إلى الحالة الطبيعية في وقت قصير ، لأن لذلك عاملين يساعده على ارتفاع الحرارة ، الأول : حرارة الحجرة وتدفئة الغطاء ، والثاني : عامل البنية لا إنتاج الحرارة ، لأن البنية تحتفظ بمقدرتها على توليد الحرارة ما دامت حرارة البدن لا تقل عن ٣٢ درجة مئوية . وأما إذا انخفضت الحرارة إلى أقل من ٣٢ درجة ، ووضعنا المريض في غرفة دافئة ودثرناه فإنه يتطلب وقتاً طويلاً لاستعادة حرارته الطبيعية ، إذ التدفئة والتدثر هما العاملان الوحيدان لكي تصل الحرارة إلى ٣٥ درجة ، فيظهر عامل مقدرة البنية على توليد الحرارة .

• وفي الحري يحصل عكس ذلك فإذا زاد الحر فالبنية تقاوم أيضاً ارتفاع الحرارة وتتكيف بوسائلها لتنقص عملية توليد الحرارة ، وتزيد عملية تبريدها وفقدائها ، فيحدث ارتخاء في العضلات ويكثر العرق ، أي بعكس ما يحدث من مقاومة البرد . وتنصح هذه الوسيلة إذا ما كانت حرارة الجو لا تزيد عن ٣٧ درجة أي عن درجة حرارة الجسم العادية ، وإذا

ما زادت حرارة المكان وارتفعت إلى أكثر من ذلك وبلغت الأربعين وزيادة ، فإن انعدام توليد الحرارة من البنية لا يكفي وحده لمقاومة حرارة المكان والجو ، فيستعين المرء بوسائل أخرى من وسائل فقد الحرارة البدنية وأهمها العرق الذي يزيد فيتبخر على سطح الجلد ، وكذلك نشاط التنفس ، وإذا لم تتمكن وسائل تصريف الحرارة من خفضها زادت الأعراض شدة ويحدث مرض الإعياء من الحر . والتبخر كما هو معلوم يمتص الحرارة ، ويكفي أن يضع المرء مادة من المواد السريعة التبخر على جلد يده مثل الكحول أو الأثير ليلاحظ أن يده تبرد أثناء تبخر هذه المادة . وغزارة العرق في الصيف معروفة للجميع لأنها وسيلة طبيعية من وسائل تخفيض حرارة الجسم في الصيف . ومن المشاهد أن العرق يتبخر بسرعة في الجو الجاف أكثر مما يحدث في الجو الرطب ، ولذا تتكيف البنية لمقاومة الحر بسهولة في الجو الجاف ، أكثر مما تتكيف في الجو المشبع بالرطوبة .

• من ملطفات الحرارة التسميم فانه يساعد أولاً على تخفيف العرق وثانياً ينعش الجسم ، ولذا تغزل فيه كثير من شعراء البلاد الحارة في شعرهم وأغانيمهم في مواضع عديدة وحملوه سلاماً وأشواقاً — ونلاحظ أن أكثر الناس يستعمل المروحة في الصيف لاحتداث نسيم خفيف وتبديل في الهواء لتلطيف حرارة الجسد وتخفيف العرق . وقبل أن تخترع المروحة الكهربائية كانت تستعمل المراوح اليدوية من قديم الزمان وتوجد في الآثار صور تدل على وقوف حملة المراوح بجوار الملوك للتهوية على وجوههم — ولا تزال المراوح اليدوية تستعمل الآن وبأشكال متنوعة في جميع مناطق البلاد الحارة ، وتفننوا في صنعها ، من أبسطها وأرخصها كالمصنوع من زعف النخيل إلى أعلاها كالخلى بالنقوش والصور والمزين بريش النعام ، بل والمرصع بالأحجار الكريمة وكانت من حلي السيدات كما أصبحت الآن من التحف المنزلية الثمينة التي تحلى بها الحجرات وتعرض في المتاحف .

• ومن الوسائل التي يستعملها ذوو اليسار في الصيف لتلطيف الحرارة ولانعاش الجسم ماء الكولونيا والروائح العطرية الأخرى ، وفائدتها أن المواد الكحولية والطيارة التي بها تبخر بسرعة فنمتص الحرارة — ورائحتها تنعش حركة التنفس — ومن ملطفات الحرارة الصارة النافعة معاً ، شرب الماء البارد وتناول الثلجات . على أن ضررها يكون أكثر من نفعها إذا شرب الماء بكثرة أو تناول المرء الثلجات بغير اعتدال لأنها تحدث نزلات معدية معوية واضطرابات هضمية — فالماء إذا استعمل من الظاهر رشاً أو استنهماً يلطف الحرارة وينعش الجسم وينبه أعصاب الجلد وينشط التنفس . وأما إذا شرب فانه يمتص الحرارة من المعدة ويلطف الحرارة قليلاً ثم يمتص فيزيد العرق والعرق كما قلنا يتبخر ، ويكثر العطش

في الصيف من كثرة العرق ولذا نجد في البلاد الحارة كثرة استعمال المشروبات المرطبة والمنالجة مثل القازوزة وعصير الليمون وعرق السوس وما شابهها . ويعد من الاحسان والعطف تسهيل الماء وبناء أماكن الشرب الخاصة المعروفة بالسبيل في الطرقات بل ربما كان الشرقيون أول من فكر في عمل اناء حجري صغير للكلاب بجوار السبيل — غير أن شرب الماء بافراط مضر كما قلنا لأنه يحدث اضطرابات في الهضم، والماء الذي نشربه يمتص جزء بسيط منه في المعدة وأغلبه يمتص في الأمعاء الدقيقة وبعضه في الأمعاء الغلاظ .

• تصرف الحرارة وتفقد من الجلد بثلاث وسائل الأولى: امتصاص الحرارة أثناء تبخر العرق ويحدث هذا في الهواء الطلق بسهولة — ويحدث في الهواء المحبوس مثل هواء الغرف وغيرها بصعوبة — كما يحدث في الجو الجاف أكثر مما يحدث في الجو المشبع بالرطوبة — والنسيم يسهل تبخر العرق . والثانية بتوصيل الجلد لحرارة الجسم الى ما يحاوره . فالملابس تدفأ بملامستها الجسم وفي تدليك الجسم بالماء أو بالكولونيا أو الاستحمام بالماء البارد أو حمل مكعبات باردة أو ما شابهها يوصل الجلد الحرارة اليها فتقل حرارة الجسم . والثالثة بطريقة الاشعاع أي بإشعاع الحرارة في الهواء ولا يمكن هذا إلا إذا كانت حرارة الجو أقل من حرارة الجسم — وبعد تبخر العرق أهمها . وعرف بالتجارب الفيزيولوجية ان تبخر ١٢٠ جم من العرق يخفض حرارة الجسم درجة واحدة مئوية — وقد استعان الطب العلاجي بهذه الوسائل الطبيعية وقلدها واستعمل النافع منها في علاج الحميات

إذا وجد الانسان في مكان معتدل الحرارة والرطوبة بأن تكون حرارته نحواً من ١٥ درجة، ورطوبته نحواً من ٥٠ في المائة والتهوية فيه معتدلة أيضاً وليس بها تيارات هواء — وملابسه مادية لا هي بالثقيلة ولا هي بالخفيفة — فإنه يفقد من حرارة جسمه الزائدة عن احتياجاته بالوسائل المختلفة الخاصة بتصريف الحرارة من البنية بالفسيبة الآتية :

٤٠ في المائة بالاشعاع

٣٠ « بتوصيل حرارته إلى ما جاور جسده كالملابس والكراسي والفرش وما يمكنه في يده من السكتب والآواني والأدوات إلى غير ذلك .

٢٠ « بتبخر العرق من جلده وبالتنفس .

? « جزء بسيط مع التبول والتبرز .

? « جزء آخر بسيط يتدفق الهواء الداخل إلى الرئة من الأنف والحلق والقصبة الهوائية ويتدفقة الغذاء البارد وما يشرب بارداً أثناء تناوله .

ويعد العرق أهم وسيلة من وسائل فقد الحرارة وتكييفها في البلاد الحارة وبعد فقدتها وتكييفها بالوسائل الأخرى قليلاً نسبياً ويكاد يكون قليل الأهمية .
 • كلنا يشكو من لزوجة العرق في الاسكندرية وأمثالها . ومثلت كثيراً عن سبب ذلك .
 والسبب أن جو الاسكندرية مشبع بالرطوبة كما يلاحظ من الجدول الآتي وقد قورنت فيه ثلاثة أيام متفرقة كانت حرارتها متقاربة .

التاريخ	اسم المكان	الحرارة		متوسط الرطوبة
		النهاية الصغرى	النهاية الكبرى	
٣٤/٤/١٢	اسكندرية	١٤	٢١	٧٣
»	مصر الازبكية	١٤	٣٠	٥٣
»	مصر الجيزة	١٢	٣٠	٧٣
»	حوان	١٤	٣٠	٦٦
٣٤/٧/٦	اسكندرية	٢٢	٢٩	٨١
»	مصر الازبكية	٢١	٣٤	٦٥
»	مصر الجيزة	١٩	٣٣	٦٢
»	حوان	٢١	٣٤	٥١
٣٤/٧/٢١	اسكندرية	٢٢	٢٩	٧٣
»	مصر الازبكية	٢٢	٣٤	٦٣
»	مصر الجيزة	٢٠	٣٣	٦٥
»	حوان	٢١	٣٣	٥٤

وأقل بلاد القطر المصري رطوبة هي الواحات الداخلة واسوان وقنا وليس من المعقول أن يصطاف فيها الانسان فانها أماكن للاشتاء ، لان الحرارة بها شديدة جداً في الصيف .

ويرى من هذا الجدول أن الاسكندرية أكثر رطوبة من مصر ومن الجيزة ومن حوان - وان الحرارة في الاسكندرية أقل في هذه الأماكن خلال الأيام التي اتخذناها مثلاً -
 وحيث ان العرق لا يتبخر بسهولة في الجو الرطب، فانه يبقى فوق الجلد ويختلط بالافرازات الجلدية الأخرى ويصبح لزجاً .

» ينبع «

المرأة

ثم المرأة

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مُصْبَحُ ؟

نابليون : مدام : اني لا أحب أن تتمجك المرأة في السياسة .
أرملة كوندورسيه : لك الحق أيها الجنرال . ولكن من الطبيعي
في بلد تحترق فيه رؤوس النساء ، أن يكون
لهن الحق في أن يسألن عن السبب في ذلك .

وغالب الظن انه في بلد يعيش نساؤه مستعبدات أو في حكم المستعبدات ، يحملن
المستقبل ويعملن للحاضر ويقمن بين الحقول والمزارع بأعمال لا يصح أن يقوم بها غير
دواب الحمل ، وتؤكل أموالهن وتغتصب حقوقهن ويشرع لهن ولا حق لهن في الاحتجاج ،
ويرسم حاضرن ويخط مستقبلهن ، ولا يمتلن في ناحية واحدة من نواحي الحياة
الاجتماعية ، ويخضعن لقانون الجراح في أن يستعمل الشطر الأغلب من شطري الجمعية حق
الأقوى ، حق المتسلط ذي الارادة المطلقة في إقامة الحدود التي لا ينبغي أن تنتخطها
حقوق المرأة ، ... غالب الظن أن يكون للمرأة في مثل هذه الجمعية الحق كل الحق في أن
تسأل عن السبب في ذلك ؟

من حق المرأة في بلد كهذا أن تسأل عن السبب في ذلك ؟ وبخاصة حين ترى أختها
الأوربية تشارك في الحرب وفي المصانع الحربية وتقطع البحار وتجوب القفار وتعمر المصانع
والمعامل وتشارك في معارك الأدب والعلم والاجتماع والفن ، وحين ترى أختها الروسية
تضحي بدمها في سبيل إنقاذ سنابلينجراد تحت جناح الليل وفي غمار الثلوج وتحت نيران
العدو وعلى مياه الفولجا الباردة المقرورة .

من حق المرأة في بلد كهذا أن تسأل عن السبب في ذلك ؟ وبخاصة عند ما ترى ان
أبناء الاوربيات اللاتي ذكرناهن أنجب من أبنائها وأنجب في الحياة وأقوى شكيمة وأثبت
خلقاً وأفزع رجولة . فمن أين أتى ذلك ؟ أظن انه من نكران الحقوق المدنية على المرأة
الأوربية ، أتى ذلك العمل الفذ الذي قام به أبنائها ، وليس له في التاريخ مثيل مذ كان

للإنسان تاريخ. أظن أنه أتى من قبوع المرأة في عقر دارها وعدم تمتعها بالحقوق السياسية والاجتماعية، على المبادئ التي يريد أن يقيم عليها بعضنا حياة المرأة في بلادنا وفي الشرق. كيف تأتي للمرأة الأوروبية أن تربي أبنائها هذه التربية الاستقلالية الحرة، ولم يعقها التمتع بحقوقها، التي أقول إنها طبيعية، عن ذلك؟ كيف نشأت الرجال الذين يريدون التسود على كرة الأرض، وهي بين جدران المصنع وفوق ظهر الباخرة وبين أجنحة الطائرة وفي القفار والصحاري والغابات. كيف تأتي لها ذلك؟ أمن أجل أنها من طينة غير طينة البشر أجمعين؟ هل تأتي لها ذلك وهي في حجرة النوم وفي المطبخ؟ كلا أيها السادة: تكلموا فيما تحسون.

لماذا يكون العمل والحرية والانتاج والمشاركة في بناء المدينة وفي الحرب والصناعة، فضيلة في المرأة الأوروبية، وذيلة في المرأة الشرقية؟ أفن حق المرأة الأوروبية أن تكون حرة، وليس ذلك من حق المرأة الشرقية؟ أخلقت الأوروبية مختصة بهمة الهبة فتعرف اللذة والألم، وخلقت المرأة الشرقية مكفوفة عن هذه الهبة فلا شعور لها باللذة ولا إدراك عندها للألم؟ هل كوّنت نفس المرأة الأوروبية ولها المشاعر والانفعالات والعواطف والحب والبغض، وكوّنت نفس المرأة الشرقية محجوبة عن كل ذلك؟ سبحانك موزع الحظوظ.

لا يزال منذ أن أصدر قاسم أمين كتابه «تحرير المرأة» في الموقف نفسه: فريق يقول أن المرأة للمنزل: وفريق يقول إن المرأة للحياة. لا يزال البعض منا في نفس الموقف الذي وقفه «روسو» من نساء فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر، تؤثر فينا التقاليد التي كانت طابع الحياة القديمة والتي ما عرفت معنى الحرية ولا معنى الحقوق الإنسانية. فإن روسو بالرغم مما أشاد بالحقوق السياسي وبالحرية وبالرغم من أنه قال إن تلك الحقوق طبيعية لا تسقط عن الإنسان ولا تسلب منه، حتى ولو تعاقده هو نفسه على حرمانه منها، وقوله إن حق التصويت حق عام لكل أفراد الجمعية، فقد ذهب إلى جانب هذا مذهباً عجيباً إزاء المرأة فلم يسلم بأن لها حقاً يقال له الحق السياسي.

لقد كتب روسو كثيراً عن المرأة، وفصل الفوارق التي تفصلها عن الرجل. ولكن لم ينزل كاتب من كتّاب القرن الثامن عشر إلى ذلك الدرك الذي انحدر فيه روسو إذ قال: «خلقت المرأة لتكون ملهة للرجل». وقال أيضاً: «ينبغي أن يكون تعليمها متصلاً بحاجات الرجل، فتكون له تسلية وفائدة وموضعاً لحبه واحترامه، وتربي أولاده صغاراً

وتعنى بهم كباراً ، ولتبدل لهم النصيح وتنفعهم بالعطف ، حتى تصبح حياتهم هادئة مريحة . كانت هذه الأشياء خلال كل العصور واجبات المرأة ، ومن أجل هذه الواجبات يجب أن تتعلم المرأة من الصغر .

هذا المذهب القديم لا يزال طابع الفكر عند الكثيرين من أنصار التقاليد العتيقة في هذه البلاد وفي كثير من البلدان الشرقية ، وبخاصة العربية منها . غير أن الفرق بين ما كتب في أواخر القرن الثامن عشر في أوروبا ، وبين ما يكتب عندنا في أواسط القرن العشرين ، إن سفسطتنا قد بلغت من الضعف ، أضعاف ما بلغ كلام روسو من سوء الفهم .

بلغت السفسطة عند بعض الكتّاب الذين تصدوا للكلام في المرأة والحياة العامة مبلغ أن فرض بعضهم حالات لا وجود لها في الطبيعة ولا حقيقة لها إلا في الخيال المحض ، وبني على هذه الفروض وتلك الخيالات القضايا واستخلص النتائج ، وراح يناضل عن وجهة من النظر لا علاقة لها بهذه الفروض على إطلاق القول .

قال بعضهم : « لو أن عالم الانسان كان كله ذكوراً ، أو أنه كان كله إناثاً ، أو كان شيئاً بين هذين : لا هو بالذكور الصنف ولا بالأنثى المحض ، — أريد أن أقول : لو أن الانسان لم يخلق هكذا مؤلفاً من جنسين مختلفين ، بل كان جميعه جنساً واحداً ، — أكانت حياته هي هذه التي نراها حياة مليئة بالشر والاضطراب ، أم تكون حياة وادعة مطمئنة مليئة بالراحة والهدوء والصفاء ؟ »

« أعتقد أن تسعين في المائة أو أكثر ، من هذا الوبال الذي يعانيه الانسان ، سببه مجموع أمرين : أحدهما أنه خلق من جنسين مختلفين . والآخر أنه أساء فهم النظم الطبيعية لتلك الرابطة الجنسية ، التي وضعها الطبيعة ونظمها الشرائع ، ليتعاون الفريقان على المرافق الحيوية ، ويتكافلا على بقاء النسل وحفظ النوع ، أو قل أن سببه هو الأمر الثاني فقط . »

فانظر أي فرض يفرضه الكاتب وأية مقدمات يتخيل لموضوع فرغت منه الطبيعة منذ ملايين عديدة من السنين . يريد أن يتخيل ثلاثة عوالم : الأول عالم كله رجال . والثاني عالم كله نساء . والثالث عالم كله خناث : نصفه خناث إلى التذكير والنصف الآخر خناث إلى التأنيث . وكل هذه العوالم الخيالية عنده تكون عوالم مليئة بالراحة والهدوء والصفاء ! أما العالم الذي نصفه رجال ونصفه نساء ، فهو السبب في تسعين في المائة أو أكثر من هذا

الوبال الذي يعانیه الانسان ، وان الانسان أساء فهم النظم الطبيعية لتلك الرابطة الجنسية التي وضعتها الطبيعة ونظمتها الشرائع ، إلى آخر ما يقول .

أما الطبيعة فلم تخطئ قيد شعرة . فقد خلقت من الحيوان ذكراً وأنثى وبثت فيه الميل الجنسي ليكون ذلك حافظاً لنوع وتوالي الحياة على وجه الأرض . قاعدة لم تند عنها الطبيعة إلا في الحيوانات الدنيا التي استعاضت عن التبادل الجنسي فيها بالتكاثر بالانقسام أو بالتبرعم . وإذن يكون الخطأ في الشرائع التي نظمت هذه العلاقة على غير قاعدة طبيعية . هذا ما تسوق اليه المقدمات التي ساقها ذلك الكاتب .

ثم إن القول بأن خلق الانسان من جنسين خطأ ساق إلى الوبال الذي نعانيه ، لو أنك حللته تحليلًا منطقيًا لبان لك أمران : فإذا كان القائل به من الدهريين لدل ذلك على أن علمه بالطبيعة ناقص وفهمه لحقائق الحياة من الناحيتين الحيوانية والاحيائية بعيد عن الاستواء . وإذا كان من المتدينين كان ذلك اعتراض على الخلق وحكمته لا يصدو إلا من متورط إلى الكلام في ما لا يعلم . وإذا كان يكون محصل ما قال ذلك الكاتب ان الشرور التي وقع فيها العالم سببها أن الشرائع نظمت علاقة الرجل بالمرأة تنظيمًا جبرًا علينا ذلك الوبال . لأن الطبيعة نظمت الخلق على قاعدة أن يكون فيه ذكر وأنثى ، فلا يعقل أن تجعل للانسان دون سائر الأحياء العليا لغة أخرى غير لغتها ، ومنطقاً آخر غير منطقها .

ثم انظر اليه كيف يقول : « لم تخلق المرأة لتكون للرجل شغله الشاغل في هذه الحياة فإذا حارب ، كان في خبيثة قلبه أن سيرقى منصباً أو ينال رتبة ، فيفوز بتقدير المرأة ويسعد باقبالها . وإذا ركب البحار وخاض الغمار كان في قرارة نفسه إنه سيصبح ذا ثراء وفير وخير كثير ، فتزدلف اليه المرأة ، وإذا ما سعى ليكون رئيساً عظيماً أو مديراً كبيراً أو وزيراً خطيراً ، كان أكبر همه فيما سعى اليه ، أن يحظى برضاء المرأة وينعم بتودد المرأة » .

« لم تخلق المرأة ليعبدها الرجل أو ينافق لها نفاقاً يبلغ درجة العبادة أو يزيد . أما تراه كيف يركع لها في خشوع المتبتل وصغار المستعبد إذا أقبلت ، وكيف يدهس أناملها وقد وضع يده على قلبه يسكنه أن يختر تحت قدميها ، وكلنا يعلم إن هذا تصنع زائف ، وإنه لا يتفق وما يعاملها به في ناحية أخرى ، حيث يصب عليها جام غضبه ويذيقها العذاب ألواناً حين ينتهي أربه منها » . ١ .

صورة لم تخلق إلا في مخيلة الكاتب ، وأوهام لم يقيم عليها أي مجتمع إنساني مذ كان الانسان مجتمع . الرجل يعمل ويكد ويحارب ويقيم الدنية ويقطع البحار ويجوب الفقار ،

ويعيشي على الرمضاء صيفاً ، وعلى الزمهرير شتاءً ، لماذا ؟ ليفوز بتقدير المرأة ويسعد باقبالها
ويحظى برضاها وينعم بتوددها ، فاذا أقبلت ورضيت وتوددت صب عليها جام غضبه وأذاها
العذاب ألواناً حين ينتهي أربه منها !! أسمعت أيها الانسان المتمدين بمثل هذا في خطوب
الأولين ؟

فروض لا أساس لها من العقل ولا من الواقع ، وترهات لا يؤيدها برهان ولا يقوم
عليها دليل ، تتخذ أساساً لبحث في المرأة ومنزلتها من المجتمع وأثرها في اقامة دعاتم التمدين ،
وتكثيف حالات المستقبل . وهي فوق ذلك فروض ليس لها سند في الطبيعة ، ولا موئل في
الطبع ، ولا تمت بصلتها ما إلى مجتمع بذاته من المجتمعات الانسانية . فأين الرجل الذي يحارب
متودداً للمرأة ، وأين الانسان الذي يركب البحار ويخوض الغمار لتردلف اليه المرأة . وأين
الجماعة الانسانية التي عاشت وهذا طابعها في الحياة ؟ لا شك في أن ذلك كله قد قام في وم
ذلك الكتاب لا أكثر ولا أقل وغاية همه من ذلك العنت ، بل من ذلك العبث ، أن يقول
« السعي خارج المنزل وقد خص به الرجل ، والعمل داخل المنزل وقد خصت به المرأة » هو
جماع ما في الجمعية البشرية من حكمة الحياة .

أما اذا أردنا أن نتكلم في هذا الموضوع كلاماً تفهمه الطبيعة فينبغي علينا أن نعتقد
أن المرأة لها من الحقوق وعليها من الواجبات مثل ما للرجل تماماً ، وأن النظامات العتيقة
وحدها هي التي جعلت من المرأة ذلك المخلوق المهان المستضعف ، وأن الطبيعة أعدت المرأة
أول ما أعدتها لتكون شريكة الرجل في الحياة بأوسع معانيها وبكل احتمالاتها ومطلوباتها .
شريكة لها حق الحياة والعمل والكسب والسعي ، ولها فوق ذلك حق طبيعي لا يسلب
ولا يُعْطى ، هو حق الحرية ، التي هي الحياة .
اسماعيل مظهر

الجاهل : لا يؤمنك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف ، فان أخوف ما يكون للانسان
لحريق النار أقرب ما يكون منها . وكذلك الجاهل ان جاورك أنصبك ، وان ناسبك
جنى عليك ، وان ألفك حمل عليك ما لا تطيق ، وان طاشرك آذاك وأخافك . مع انه
عند الجوع سيعض ضار ، وعند الشبع ملك فظ ، وعند الموافقة في الدين قائد الى جهنم .
فأنت بالهرب منه ، أحق منك بالهرب من سم الاساود ، والحريق الخوف ، والدين
الفادح ، والداء العياء .
« ابن المقفع »

مبدأ سيادة الدولة

وقضية السلم العالمي

بقلم

صالح الدين الشريف

ظلَّ مبدأ السيادة قاعدة العلاقات الدولية ، ومظهر السلطان السياسي الذي تحرص أمم هذا العالم على التمسك به ، في كافة ما يشغل أفق حياتها القومية والعالمية . وحق سيادة الدول في العالم المتمدين ، قرين حق الحرية عند الأفراد ، فهو قاعدة النظم السياسية والتشريعية والاقتصادية ، وشتى نواحي النشاط الداخلي والخارجي للدولة .

وبديهي أن لكل أمة نظمها الخاصة بها ، وظروفها المقصورة عليها ، وإن كان إنطباع كل الأمم بروح الحضارة السائدة كفيل بأن يقرب بينها جميعاً ، ويفتح أعينها على مشاكل الحضارة التي تأخذ بنصيبها منها ، فتشارك في علاجها بأساليب تتكاد تتقارب في البواعث والغايات ، وبذلك تتبادل الحلول والمنافع ، وتقارب ما استطاعت بين صور التفاوت في وجهات النظر . غير أن اختيار كل دولة مستقلة نظمها ، وانتخابها لأساليب خاصة تواجه بها مشاكل العيش في ظل الحضارة ، لا يتحقق لها بغير سلطان السيادة .

فالسيادة هي عونها في سلطتها التشريعية فتميء لها أن تصوغ قوانينها وفقاً لتطوراتها الاجتماعية المقصورة عليها . وهي كذلك عونها في سياستها العسكرية ، فتدفع عن أرضها غوائل الاعتداء . كما أنها قاعدة السياسة الخارجية التي تتبعها ومناطق نشاطها الخارجي كله . فبها تشهر الحرب ، وتعقد الصلح ، وتعاهد وتحالف ، وتبادل التمثيل السياسي ، وتعتمد رجاله ومبعوثيه من أبناء الدول المرتبطة معها بعلاقات سياسية .

وبهذا المعنى على إطلاقه نفهم ضرورة السيادة كحق ضروري لكل دولة تريد أن تتمتع بنصيبها من الوجود السياسي ، وتساهم في إعلاء مقاييس الحضارة التي تسود هذا العالم .

ولكن الدول اليوم لا تعيش في عزلة وراء تخومها السياسية والجغرافية ، بل تتشابك علاقاتها وتتقابل وجهاتها أو تتعارض ، حتى لينشأ من هذا التشابك والتعارض احتكاك بين

السيادات ، إذا لم يعالج دائماً بما يحقق التوازن والاستقرار ، هدد المجتمع الدولي بفوضى الحرب ، وسيادة شريعة القوة ، تحقيقاً لمبدأ التنافس الأبدي في سبيل البقاء .

ولما كانت كل دولة ترغب في أن تحيا مطمئنة على حقوقها ومطامحها ، وأن تكون على أتم أهبة للملاقاة مخاطر النضال ومواجهة أهواله ، فهي لن تجد مفرّاً من الحرب ، تدفع بها العدوان وتحل بها ما يرهقها من عوادي الغير وغوائله .

غير أن من الدول من يتسع أفق نظرتها إلى مشاكل العالم التي تخوض محيطها ، فتتذكر جدوى الحرب في حسم النزاع وفض الخلاف ، وتنظر إلى الأمر نظرة عكسية ، وتأخذ في علاجه من طرف آخر ، قد يريحها من الحرب ، ويجنبها ما تتمخض عنه من كوارث ونكبات . وسبيلها إلى هذا ، تقوية ضمانات السيادة ، وتعزيز مقدرة الدفاع الوطني من ناحية ، والتوصل بدبلوماسية المفاوضات والمصالحة ، واقتراح شتى الحلول السامية ، من ناحية أخرى .

وقد كان لسيادة هذه النظرية التقليدية أثر نفسي (سيكولوجي) بعيد في تشجيع بعض أمم المجتمع الدولي على التسابق إلى تقوية سيادتها ، حتى لقد اتوى بها القصد ، وانكفأت أمامها الغاية ، فأهملت جانب المسالمة والمفاوضة ، وأضحى أمر العلاقات السياسية بينها مقصوراً على التطاحن بين السيادات ، يقويه العامل الاقتصادي ، وحافز المصلحة القومية ، دون غيرها من عوامل الاجتماع الداعية إلى التضامن الدولي ، أو التألف في ظل الدولية العالمية .

وكلمة « السيادة » بمعناها الاصطلاحي المعروف اليوم ، لم يعم استعمالها إلا في أواخر القرن السادس عشر ، وكان الفقيه « بودان » أول من استعمل هذا الاصطلاح في كتاباته الفقهية ، بعد أن أفسح نطاق مدلوله الفقهي الذي كان يحمله طيلة العصور الوسطى ، إذ كان مقصوراً على سلطات معينة يتمتع بها الملوك والعوائل ، بحكم مركزهم السياسي والاجتماعي ، وما خوله لهم من الزايا والحقوق .

ولما كانت المبادئ والنظريات عرضة للتطور ، فقد كان حتماً أن تنصاع لحكم الضرورات المختلفة ، فتماشي التطورات الاجتماعية التي تكيف البيئة ، وتوجه مصائر أفرادها ، وتأمين بذلك شر الجود والانعصار في حدود ضيقة ، وهي كثيراً ما تسوق إلى ضرب من الشلل الاجتماعي ، له آثاره السالبة ، فيتخلف المجتمع ، من ناحيته المادية والروحية ، عن مسايرة ركب الحضارة إلى غاياته المثلى .

ولعلّ عملية التطور هذه ، وهي الناموس الطبيعي الذي يحكم المجتمع الإنساني ، هي خير

ما تختبر به المبادئ الجهورية التي يستوعبها ضمير الجماعة ، إذ أن هذه المبادئ تجوز بدورها سلسلة من التطورات تنالها بالتعديل والتكامل ، حتى تسامت أهداف الجماعة ، وتماشى عوامل الاستقرار أو عوامل الانقلاب التي تتناوب على البيئة .

ولما تشابكت العلاقات الدولية ، واستفحل أمر السيادة في مطلع العصور الحديثة ، ابتدأت عوامل النضال الخفي بين الدول العظمى في سبيل الهيمنة على مصائر التوازن الدولي في القارة الأوروبية ، فضلاً عن خوض غمار المعارك الاستعمارية الكبرى التي اجتذبت الدول إلى مغامرها ، للحصول على موارد الحرب وخامات الصناعة .

ولما بدأ المجتمع الدولي يُعاني مغبة الأخذ بمبدأ السيادة المطلقة ، وتقديس حق الدولة في تبرير أية خطة تنتهجها في تنفيذ سياستها الخارجية ، مادامت مستندة إلى سلطان السيادة ، ظهرت بوادر حركة رجعية ، ضعيفة تُعَد بمثابة ارتكاس لنظرية السيادة المطلقة المطبوعة بالروح المكيفيلسي . ذلك الروح الذي ظلَّ مهمناً على علاقات الشعوب المتمدينة ، يدفعها إلى غمار الطامع ، ويجتذبها إلى معارك الحياة والموت .

ولم يكن بد من أن يظهر أثر هذا الانقلاب الفكري في كتابات بعض الفقهاء الدوليين ممن حبذوا فكرة « السيادة المقيدة » فكتب العلامة « يافندورف » في مؤلفه العظيم *De Jure Naturae et Gentium* منبهة أن سلطان السيادة يقبل القيود ، وأن هذه القيود تحد من السلطة الحاكمة في الداخل حرصاً على حريات المحكومين وخيرهم ، كما أنها تحد من حرية الدولة في انتهاك علاقات المودة وحسن الجوار وروح التفاهم ، التي يجب أن تربطها بالدول الأخرى ، حتى لا تستغل مبدأ السيادة ، مدفوعة بنية ظالمة ، في انتهاك سياسة خارجية معادية أو مخادعة .

وفي القرن الثامن عشر أخذ مبدأ السيادة ، بتأثير النظريات الفقهية الجديدة يتكيف في صور جديدة تحت ظل المحالفات والمعاهدات التي كانت تعقدها شعوب القارة الأوروبية ، مدفوعة إلى ذلك بعوامل سياسية مختلفة . ومن ثم بدأ يسود الأفق الدولي روح جديدة من التفاهم على وجوب تقييد حق السيادة للصالح الدولي المشترك . وجرى العرف الجديد بأن قبلت كل دولة ، تتحالف مع دولة أو مجموعة دول أخرى ، أن تقيد مختارة ، بقيود ميسية ودبلوماسية ، طامنت إلى حد كبير من غلواء المبدأ الذي كانت تعتنقه الدول من قبل ، ونعني به مبدأ التمييز بين السيادة ، ومحاولة كل دولة التوسع في سيادتها على حساب الدول

الأخرى ، غير حافلة بما يترتب على ذلك من إخلال بمبدأ التوازن الدولي ، ومن قضاء على روح المسألة ، الواجب أن ترعاها إزاء أهم المجتمع الدولي .

على أن مبدأ تقييد السيادة قد تجلّى في أبرز صورة في أعقاب الحرب العظمى الأولى ، عند ما قضت الالتزامات التي أوجبتها معاهدات الصلح ابتغاء تسوية عالمية مشتركة ، تحقق في نظر أعلام السياسة أيامئذٍ ، ضرباً من الاستقرار والتوازن ، فقبلت بعض الدول الأوروبية قيوداً سياسية وعسكرية معينة ، اعترف واضعوها بأنها لا تمس سيادة الدول الموكولة بتنفيذها أو استقلالها . وسرعان ما تقبل فقهاء القانون الدولي وأعلام السياسة الأوروبية ، الذين كانوا يسعون إلى تحقيق حلم السلام الدائم ، هذه النظرة الجديدة في فقه السياسة ، وأخذوا من ثمَّ يحشدون آراءهم في مؤلفات تناولوا فيها مبدأ السيادة بألوان من الشروح السمحة التي تحكم الصالح العالمي المشترك ، قبل أن نستهدي الصالح القومي الضيق الأفق ، مؤكدين أن سلك الأمم العالم المتمدين في شبه وحدة سياسية واقتصادية متاخية متضامنة ، لن يتحقق إلا إذا قنعت كل دولة بحدود جديدة لمبدأ السيادة ، يتفق والالتزامات التي يفرضها روح عصر ينشد فيه العالم سلاماً طويلاً الأمد .

غير أن هذا الاتجاه الانساني الجديد في تقاليد المجتمع الدولي ، لم يُرضِ جماعة من الفقهاء المحفوزين بعُصرام الرغبات المملوئية ، إلى فرض سيطرة دولهم ، فاندفعوا نحو تأليه حقوق السيادة ، بطريق تأليه مقام الدولة وتقديس حقوقها حتى تستوعب حقوق الأفراد وأراداتهم ، بله حقوق الأمم الأخرى التي لا تبدو للدول الطامحة إلا في صورة المزاحم لها على منادح العيش ومجالات الحياة .

وهم في ذلك يسوقون ضرباً من المناقضة يبدو خطله لأول وهلة ، فيقولون بل يؤكدون أنه بغير اقرار مبدأ السيادة على وجهٍ واسع ، لا يكون ثمت قانون دولي ينظم تشابك السيادة بين الدول . فتقييد السيادة إلغاء صريح للمقومات السياسية للدولة ، وإذا سلمنا بهذا الإلغاء تدريجاً أو طفرة ، لم يعد للمجتمع الدولي وجود ظاهر . وواضح أن هذا الرأي افتراض نظري محض تلعب السفسطة فيه دوراً يذكر ، وقد تكفل الفقيه الفرنسي الكبير « Le Fur » بدحضه فقال : « إن التوفيق بين سيادات الدول وبين حقوق المجتمع الدولي هو حقاً مشكلة المشاكل في فقه القانون الدولي . بيد أن النظر السليم المبني على قواعد الاستقراء التاريخي والمقارنة الواقعية لأسس الاجتماع الانساني ونظمه الحاضرة ، كفيل بأن يهدينا إلى القول المصل في هذا الاشكال . وإذا أردنا عرض الأمر في أبسط صورته

دون اصطدام بالتفاصيل الفقهية المرهقة ، ظهر لنا أن المقابلة الاجتماعية بين حق الفرد في الدولة وحق الدولة في محيط المجتمع العالمي ، يضع أيدينا على مفتاح الحل المنشود . « فانفرد في المجتمع ، لا بد له من حرية تكفل له مجالاً لملاكاته ومواهبه ، ومن حقوقه هي له أن ينمي شخصيته ويقوّي كيانه التي يعمل من أجلها ويكده ، ومن ثمت كان طغيان سلطان المجتمع على حريات الأفراد وحقوقهم ، عن طريق الجبر الاجتماعي ، بمثابة سلب المجتمع بواعث نشاطه وحيويته . كما أن في إطلاق المجال لحريات الأفراد وتعزيز استقلالهم إزاء حقوق السلطات العامة ، محطمان لنظام الجماعة معطل لاستقرارها ورضاها على غرار ما تكفلت بشرحه بعض نظريات العقد الاجتماعي ، بل حقائق الواقع الاجتماعي ذاته . ثم يأتي الطرف الآخر من المقابلة في صورة مجتمع عالمي أفراد الدول . فهذه الدول الأعضاء فيه ، لا بد من احترام استقلالها وسيادتها حتى تكون عوامل منتجة في تعزيز الرخاء العالمي . بيد أن هذه السيادة التي تظاهر حقوق الاستقلال ، ليس من الصالح العالمي أن يرخى الحل لاتساعها وتضخمها ، والأكثر من وراء ذلك امتداد لمعارك السلطان بين السيادات ، واعزاز لشأن الجامعات العنصرية الكبرى على حساب القوميات الصغيرة ، وكلا الأمرين منافي لوجود مجتمع عالمي يقوم على تحديد السيادات في سبيل تضامنها وتوجيه حقوق الاستقلال لخدمة قضية السلم . وقوام هذا التحديد مرافق عالمية مشتركة في ميادين الاجتماع والاقتصاد والسياسة ، تنمو وتتسع بتقدم العالم وازدياد الصلات والروابط بين أجزائه . »

والواقع أن العالم في صراعه الحاضر يدل على أن روحه ترفض مبادئ الطغيان والتحكم وشهر السلاح في وجهه الضعيف الأعزل صاحب الحق ، وهو اليوم يعير مبادئ الاخاء والتضامن العالمي عناية أكبر ويستوعبها بفهم أنضج من فهم الأمس الدابر . وإذا كان قد نعرف على أخطاء الأمس التي حالت بينه وبين هذا التعاون الذي كان ينبغي أن يحكمه في تقرير الصالح المشترك بين الأمم ، فإن حاضره ومستقبله حقيقتان بأن يكفلا له تأليف هيئة عالمية كبرى تكون محكمته وبوليسه وبرلماناً ، فنحكم بين الأمم وتعمل لخير العالم غربه وشرقه ، وهذا ما تعقد الانسانية اليوم رجاءها عليه .

مصادر المقال .

1 — Foreign Affairs : An American Quarterly Review (April 1942)

2 — E. H. Carr : The Twenty Years Crisis (1919 — 1939)

الفيل

ذلك المجهول

من الجائز أن الفيلة لا ترى الفئران رؤية صحيحة ، لأن بصرها ضعيف . فعندما يلتقط الفيل جوزة صغيرة أو حبة من الفول السوداء ، فلا يدل ذلك على أنه يراها . ذلك بأن خرطوم الفيل هو في تكوينه الحيوي ، بمثابة جهاز « رادار » الحديث ، فينقل إليه ما هو جار على بعد منه ، بأدق ما تنقل العينان أو الاذنان .

لا شك في أن الطبيعة ، أمنا العظمى ، عندما أرادت تصوير الفيل ، قد افترست وتريثت طويلاً ، لتبرز في عالم الحياة حيواناً لا نظير له في الخليقة . وإلاّ فأين نظيره ؟ أين الحيوان الذي تنمو ثناياه حتى تصير من الثقل بحيث ترهقه بحملها إذا مشى ؟ أين الحيوان الذي زودته الطبيعة بجلد سمكة بوضة ، وجهاز لتوزيع الحرارة ضعيف الأثر ، فلا يحتمل الجليد إلاّ بقدر ما تحمله نبتة ضعيفة من نبات الفول الغض ؟ أين الحيوان الذي اندمجت أفته في شفته العليا ثم امتدتا إلى الامام فأصبحتا ذلك العضو الغريب الذي ندعوه الخرطوم ، فيقوم مقام الأصبع واليد والأنف والنافورة والهرادة .

إن أقدم أسلاف الفيلة قد انقرضوا من الأرض منذ ٢٠٠٠٠ سنة على الأقل ، في حين أن الفيل ، وهو البقية الباقية من عالم بائد ، قد عاش إلى الآن ، لتضفي به الطبيعة علينا آية من حيوان هو أبعد ضروب الحيوان عن أفهامنا . حيوان ورثنا بوجوده عن آبائنا قصصاً وخرافات ، وعن علمائنا أقوالاً متناقضة متضاربة .

ولعلك قد سمعت بعض ما يروى عن الفيل . ألم تسمع أن الفيل يبدأ في التوالد إذا بلغ المائة أو يزيد ، وأنه لا ينمى إساءة ، وأنه لا بدّ من أن يردّها انتقاماً ؟ وإن الفيلة الأفريقية غير قابلة للإيلاف ، فلا يستطيع الإنسان أن يعالجها ، وإن الطوائف منهم تزعم الفئران ؟ وأن قائد القطيع لا بدّ من أن يكون خلاً هائل الحجم ضخّم الجثة ، له ماضٍ في المعارك تركت أثرها في إهابه ، فتظل له السيادة حتى يتغلب عليه « جالوت » صغير يتربع على عرش القطيع ، وأن الفيل إذا توقع الموت تسلسل لموت خفية وفي سلام ، ولكن في مقبرة لا يعرفها إلاّ الفيلة ؟ .

ليس من هذا كله شيء حقيقي ، ولو أنك وقفت تنظر إلى فيل من غير أن تعرف أي شيء عنه ، لاستعصى عليك أن تعتقد شيئاً من صحة ذلك . ولننظر الآن فيما يقال عن عمره . ولنقف عند هذا برهة قصيرة .

ان لاهل « بورما » قولة في الفيل وانه يولد عجوزاً طاعناً في السن . ولهم في ذلك حق . فان فلو الفيل يلوح كأنه عجوز فان ، بجلده المجمع وحركاته الثقيلة وترنجه ترخ المعجزين ، وفيل في الأربعين يلوح لك كأنه في عمر نوح . ناهيك بإهابه المنتفخ الأغبر الأملط المشوه بألف التجاعيد ، وجهته العريضة البارزة التي تعبر لك عن أنها خزانة حكمة وتجربة ، وعينه الصغيرتين الغائرتين ، جماع ذلك يكمل ، عند أول نظرة اليه ، صورة حيوان عاش من القدم المديد إلى عصرك الحاضر . هذه الأشياء إحياء لا غير ، تبعثه فيك صورته الظاهرة .

ويبلغ الفيل تمام نموه في العشرين من عمره ، وأقل من ذلك شيئاً مّا . وتلد أنثى الفيل وهي في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من سنّها ، وتظهر على القيلة سمات الكبر وهي في الأربعين . وأقصى عمر تبلغه الخامسة بعد السبعين غالباً .

ثم ماذا عن حقد الفيل وانه لا ينمى الاساءة ! قد يكون لذلك الجنس ذاكرة غاية في القوة . ولكن إذا صح أن الفيل لا يصفح عن أذية ، إذن لتعذر أن يوجد فيل واحد في ملعب من الملاعب ، أو حظيرة من حظائر حدائق الحيوان . وكل الحقائق المعروفة تدل على أن الفيل يحترم السلطة ويخضع لها . وقد يصرع حارمه إذا شاء ، ولكنه يحفي له الرأس احتراماً إذا اضطر .

وللذكور أخلاق تند عن أخلاق الاناث من حيث الالفة والخضوع ، ومزاجها أخفى وأغمض . وهذا هو السبب في أن العادة اتبعت في ملاعب الحيوان أن يكون قطيع القيلة فيها من الاناث ، ولو انه يجري على ألسنة أصحابها كلمة « الفحول » إشارة الى القيلة من غير اعتبار لجنسها . والواقع أن ذكور القيلة إذا طال بها الأسر ساءت أخلاقها واستعصت ، فنصيبها القتل بالرصاص ، طال بها العهد أم قصر .

ان « غمبو » ، وهو فيل ذكر عظيم رؤسّه « بارنوم » ، معروف لكل أمريكي ولد قبل سنة ١٨٩٠ . وهو ولاشك أعظم فيل عاش في أسر الانسان . وكان « غمبو » أفريقيّاً ،

وهو نوع عرف عنه أنه من أبعـد الحيوان عن قبول الإيلاف . ولكن آلافاً من الأطفال
ركبوا ظهره ، فناقض بذلك خرافة شاعت عن الفيلة الإفريقية .
ثم كيف القول في أن الفيل يهرب الغار ، وإن له مقابر يلجأ إليها ليموت إذا حان حينه
وإن أكبر الفحول يقود القطيع ؟

يقول جرّاس حديقة الحيوان في فلادلفيا ، أن فيلة الحديقة لا تأبه بالفئران ولا تعيرها
أي التفات . ولا شك في أن ذلك الخلق هو خلقها في العابة . ومن الجائز أن الفيلة لا ترى
الفئران رؤية صحيحة ، لأن بصرها ضعيف . فعندما يلتقط الفيل جوزة صغيرة أو حبة
من الفول السوداني ، فلا يدل ذلك على أنه يراها . ذلك بأن خرطوم الفيل ، هو في تكوينه
الحيوي بمثابة جهاز « رادار » الحديث فينقل إليه ما هو جار على بعد منه ، بأدق ما تنقل
العينان أو الأذنان .

كذلك لا يقود الفحل الأكبر القطيع كما يقال . ولكن الرأي في ذلك غير متفق . بيد
أن الشائع أن إحدى الأنثى تكون غالباً على رأس القطيع . ويقول أحد صيادي الفيلة أن
جماعتها تخضع لنظام الأمومة ، وهو نظام يكون السلطان والرياسة فيه للام ، وأنه إذا حدث
ووجد فيل عظيم النابين في جماعة من الأنثى ، فيغلب أن يتمرد عليك قتله ، لا لسبب إلا
للحملة الوحشية النائرة ، التي يوجهها اليك الأنثى دفاعاً عنه .

وقطعان الفيلة مسالمة فيما بينها ودیعة في تصرفها . والظاهر أن ما يحدث بينها من
التخاصم قليل ، ولا يند عن هذه القاعدة غير فئة قليلة من الذكور ينبذها القطيع لسوء
أخلاقها ، فتهيم على وجهها زماناً ، تغرس فيها خلاله ، ميول غير مرغوب فيها ، فتظل طريـدة .
أما مدافن الفيلة ، فالظاهر أن لا وجود لها . وبالرغم من أن الكثيرين بحثوا وراءها
وفتشوا عنها ، رغبة في الحصول على حاجها ، فانه لم يعثر على أثر لها . وبالرغم من أن أكثر
ما ينقل عن طبائع الفيلة غير صحيح ، فهناك من حقائق حياتها العجيبة الشاذة ، ما يظهر أن
هذا الحيوان من أغرب الثدييات في دنيا الحياة . فالفيل ولو أنه ذائع في بقاع فسيحة
شاسعة من رقع إفريقيا وأسيا ، ولا يتورع عن المشي خمسين ميلاً ليسعد بشربة ماء ، فانه
حاجز عن الجري والرويان والتقريب ، ولا يستطيع الوثب ، ومشيه عبارة عن سباح سريع

لا يزيد معدله عن عشرين ميلاً في الساعة ، ولكنه لا يقدر على ذلك غير قليل من الزمن .
فاذا هاجم ، فإن الصياد قلما يسبقه عدواً

والفيل مسباح ماهر ، ويجب الغوص تحت الماء بكل جسمه ما عدا طرف خرطوميه الذي يظل ظاهراً فوق السطح ، كأنه مثفاق^(١) غواصة . ولا يضارعه شيء من الحيوان في القدرة على اللقانة ، والتعلم في أخريات عمره . وقد وزن ناباه مائتي أو ثلاثمائة رطل . وهما ثقيلان يتعبانه ويضنيانه . وللفحل الكبير من الفيلة نابان من هذا الوزن الثقيل . وكثيراً ما يعمد الفحول الكبيرة إلى شجرة يسندون إليها أنيابهم ليريحوا عضلات رقابهم من حملهما بعض الوقت .

ولا يعضد مثل هذه الأنياب غير جمجمة عظيمة الحجم . وجمجمة الفيل شيء يدعو إلى العجب . ففي مؤخر الطبقة العظمية الأمامية التي تؤلف الجمجمة ، مسافات منفرجة قليلاً أو كثيراً ، مملوءة بعظام أشبه بأقراص خلية النحل . ومن المتعذر أن تقتل فيلاً باصابة دماغه (مخه) . فإن الاهتمام إليه عسير ، ذلك بأنه مندفن في داخل الجمجمة على بعد اثنتي عشرة بوصة أو يزيد .

وأسنان الفيل الفككية شيء غير عادي في دنيا الحيوان . فهي على كبرها لا تستقر في وقوب شأن بقية الحيوان ، وإنما تنتظم في خندق غائر في عظم الفك ، تنزلق فيه حسب الحاجة . ولا يظهر من أسنانه غير سن واحدة أو سن ونصف في كل من فكيه ، فاذا تحاثت سن منها ، سقطت وحلت محلها السن التي تليها . ولكن أغرب ما في الفيل خرطوميه ، وهو عبارة عن أنبوبة من العضلات ، أو قل مئات من العضلات ، وينقسم عند منتصفه بفواصل ، وفي طرفه الأمامي بروزان يستعملهما الفيل كما نستعمل أصابعنا .

والفيلة تعبر عن الصداقة بقشايك الأنياب كما نعبر نحن عن ذلك بهز اليد . وترتب الأنثى صغيرها بنابها ، فاذا مشى وضعته فوق ظهره لتدله به على الطريق . وربما كان أعظم فائدة لخرطوم الفيل أنه عضو حس . فاذا نامت الفيلة مدّت خراطيمها لتشم الهواء ، عساها تقع بالشم على عدو قريب منها .

في الكوخ

قصة عن فاندافاسيلفسكا

« وقامت أنيسيا متحاملة على رجلها المهترئين ، ولكن
لتدلف الى النار . وكان آخر ما جال في خاطرها : الباب
والنوافذ ، أهي محكمة الففل ؟ موصدة لا تقهر ؟ »

عند ما تكون الشمس مشرقة ، وبالأخص كما
كانت تشرق في ذلك اليوم ، فإن الحالة تختلف .
فما أبهج شمس يولية وهي تداعب الأرض
بأشعتها الذهبية .

« جدتي » .

« ماذا بعد ؟ »

« أستمعيني ؟ »

« لم لا ؟ طبعاً استطيع أن أسمعك » .
قالت أنيسيا ذلك وهي ماضية تتمتع عجباً .
ان هذه الفتاة تطلب شيئاً على الدوام . لماذا
لا يتركون عجوزاً مثلي لتسريح في سلام ؟
ان مثلي لا يطلب من الحياة مزيداً ؟ قليلاً
من سلام النفس يمر بي . بضع ساعات فقط
قبل أن يحضرني الموت ، الموت الذي هو آخذ
طريقه نحو . في هذا اتجهت أفكارها .
عادت تنالكا قائلة : « جدتي : انظري
إلي » .

فرفت العجوز جفنيها الثقيلين نحو
الفتاة باقرباء ، وثبتت عينها العائزان وكأنهما

« جدتي ! اصغي : جدتي » .

فنظرت « أنيسيا » إلى أعلى . كانت
« تنالكا » تناديهما من الناحية الأخرى
من السور .

« ماذا ؟ »

« أستمعين لي بالمثل دقيقة واحدة » ؟

« ليس ما يمنع من ذلك . احضري
إذا شئت » . وأخذت « أنيسيا » تغمغم
بطريقتها العهوددة .

ما أدفا أشعة الشمس في ذلك النهار .
وأخيراً وجدت عظامها المتصلبة النابضة
بالآلم بعضاً من الدفء يتغلغل فيها . شمس
يولية الجميلة الشقيقة . ألا ليت الأمطار تمسك ؟
أمسا ما كانت تتوقع فقد بلبلها وأزعجها
قبل أن يقع ! المطر ! كلاً . فليس من
شيء هو ألين من أن يهطل المطر . فلو أنه
هطل ، إذن لتألم كل جزء من عظامها . تألم
بخطاة . ثم تتورم مفاصلها ، ويستعصى
عليها أن تخطو خطوة واحدة . ولكن

مغشاة بين برق خفيف

« جدتي : إن الألمان قادمون » .

هزت أنيسيا كتفها . لقد سمعت هذه
الأخبار منذ أيام مضت . كانوا قادمين !
أقادمون هم ؟ حسناً . وماذا يحدث لو أنهم
قدموا ؟ فإن الألمان ولا شك ستركون حزمة
من العظام مثلها تموت في سلام . إذا كانوا
قادمين ، فليكن ذلك ! الألمان — رنت هذه
الكلمة في أذنيها وكأنها شيء بعيد عن سمعها .
وفي الحقيقة ، لم تنقل إليها هذه الكلمة أي
معنى . أتم من ذلك عندها أن تشمس وتشر
بالحرارة اللذيذة تسري في عظامها الموجعة .
الألمان — فليهم صغار السن بالألمان
أمر لا يزج عج مجوراً مثلها حطمتها الزمن
« جدتي : اتنا ستعادر هذا المكان
ونحضي إلى الغابة » .

« حسناً . اذهبوا إذا شئتم . أي شيء
يعني في ذلك ؟ لست ذاهبة معكم » .
فأمسكت تنالكا بذراعها وقد ذهب
صبرها .

« كلاً لا تعلمي ذلك . إنه يؤذيني .
والآن ، ماذا تريد مني ؟ » .
« جدتي . جدتي . تفضلي واصغي إلي ،
دقيقة واحدة » .

« إلي مصغية »

« أأسمعيني »

« نعم . ماذا تريد مني ؟ »

« جدتي . نحن ذاهبون الى الغابة .

والذي ذاهب معنا وأنا أيضاً . وكذلك كل
من هنا » .

« حسناً . اذهبوا إذن . ان الألمان
قادمون . هل هم قادمون حقيقة ؟ من الطبيعي
أن تطيروا إلى الغابات . أما أنا فسوف أظل
هنا ... أنشمس »

« جدتي : إن في حديقتنا رجلين من
جنود الجيش الأحمر »

« اثنان ... ماذا ؟ »

« اثنان من الجيش الأحمر . أتفهميني »
« نعم . ولكن ماذا يطلب مني إزاء
هذا الأمر »

أخذت الفتاة نهرها بيأس ممسكة بكتفها .
« جدتي : انك في سنة من النوم مرة
ثانية . اجتهدني ألا تنامي »

« اني لا يأخذني النوم . وانما يهوم
الناس بحفوني لا أكثر »

« جدتي . أأنت مصغية إلي . في
حديقتنا رجلان من جنود الجيش الأحمر .
تحت ظليلتنا ، بمقربة من شجر البرقوق »
« حسناً . وماذا بهم . أفتنت بأحدهما ؟ »

تنفست تنالكا الصعداء يأساً وقنوطاً ،
جلست القرفصاء تلقاءها ونظرت في تينك
اليمين الغائرتين اللامعتين بغشاوة المرض
والزمن ، وأفصحت لها بصوت عالٍ ،
مخرجة كل لفظ بعناية تامة ، ضاغطة على
الحروف حتى تبين تماماً .

« جدتي . ان في حديقتنا رجلين من

« وكيف أنسى ؟ اثنان ! أكذا قلت ؟
هما في حاجة إلى المساء ... وإلى إنسان يؤثر
مضجيهما ... وأشياء أخرى من هذا القبيل .
قليل من الطعام ، على ما أتخيل . ذلك ما سوف
يطلبان ؟ »

هنا أخذ الفرح من قلب الفتاة .
« نعم . نعم . يا جديتي . غير أنهما لا
يستطيعان أن يأكلا الآن ... الشقيان : ما
أتمسهما . ولكن بعد مضي يوم أو يومين ...
ربما ... عند ما يشعرا بأنهما أحسن قليلاً »
« سأفعل ما في وسعي . سأحضر اليهما
قليلاً من الخبز وبُسلغة من شيء آخر . سأعفي
بهما . »

« ومتى تذهبين اليهما ؟ »
« إني ذاهبة الآن ... وبعد قليل سأعود
اليهما . لا تقلقي . فكل شيء يجري حسب
مرامك . »
« لا تنسي . »

عند ذلك أخذ الغضب من العجوز
فاحتدت قائلة :

« لقد أوسعتني وقاحة : تذكرني مرة وإلى
الأبد أن جدتك أنيسيا إذا وعدت بشيء
فإنها تحتفظ بكلماتها . ماذا يقلق بالك ؟
أظن أن جدتك أنيسيا حزمة قديمة من
العظام لا منفعة فيها ولا قيمة لها ؟ لا شيء
من ذلك ما دام هناك شمس مشرقة
فإنني أستطيع أن أعمل عملاً . »

ربت نعالها على اليد المرتعشة المجعدة بخنوق

جند الجيش الأحمر . انهما جريحين ،
ولا نستطيع أن نأخذهما معنا . انهما
مرضى حتى لا يستطيعان الحركة . أتفهمين .
» نعم . نعم . أفهم . ينبغي أن يخرجوا
في الشمس »

« ولكنهما يا جديتي جريحين . فيهما
جراح بالغة . أتفهميني ؟ وجميعنا منجلو
إلى الغابة . وقد يقدم الألمان أي وقت
الآن ... جديتي . هم في حاجة إلى من يأتي لها
بشربة ماء . أعطيها شيئاً من عنايةك .
أتفهمين ؟ »

« ليس فيما قلت شيئاً يفوت الفهم ! أفيما
قلت شيئاً من ذلك ؟ »

« أفي استطاعتك أن تفعل بهما ذلك ؟ »
« لم لا ؟ ما دامت الشمس مشرقة ،
وعظامي لا تدق بالآلم ، فسأخدمهما بكل عناية »
« انك لم تنعمي بعد أين هي ظليلتنا ؟ »
« كلاً . بالطبع لم أنس »

« إذن فستعني بهما »
« نعم . نعم . سوف أنظر في أمرهما »
« ولكن كوني على حذر فإن الألمان
لا ينبغي أن يلحظوا شيئاً ! »

« سوف لا يلحظون شيئاً أبداً . ولم
يتعبون أنفسهم في متابعة امرأة عجوز ؟
سوف أظاها بأنني أطوف على غير هددي
هنا وهناك ، حتى أمر بأشجار البرقوق —
وأمر بأشجار البرقوق ... »

« بحق لا تنسي يا جديتي . »

الطوال . كم مرَّ بي منها ؟

دأوت من حول السور ودخلت حديقة جارها ، والد تالكا . وكأنت أشجار اليرقوق في الركن هناك بعد صفوف عباد الشمس والقنب ودغل النوت . الظليلة ... بناء متداع مسقوف بالحطب واليوس معمور في أغصان ملتفة وأماليد كثيفة . واستدارت من حوله لتجد الدخل .

يصعب أن تعثر به . لقد أعتوا في تسكيره حتى ليتعذر أن تجده .

جريحان مستلقيان هناك على القش . جنت المعجوز ونظرت إليهما .

« لم ذا . ارحمنا ! اتما ما يزالان في ميعة الشباب » .

تقبه أحد الجريحين من العقوة المحمومة التي أخذته ورفع رأسه المعصوبة .

صاح : « من هنا ؟ »

« ص . ص . اتما الجدة اتيسيا جاءت لتراكا . اوقد ساكتا وكن مستريحاً »

« ماء » .

« ماء . بالطبع سأحضر لكما بعض الماء يا ولدي . سأحضر لكما كل ما أحتاج في حاجة اليه » .

« لم تعرف تلك المعجوز القانية من أين أتتها العافية . وقف الالم المعض الذي كان يعصر قدميها عصراً . نسيت » ، فأخرجت من البئر قليلاً من الماء وملأت منه صواها

وعادت إلى الحديقة ، ثم إلى الظليلة بضميد

« حسناً . استودعك الله يا جدة . أ كاد أكون متأكدة من أننا سوف نعود سريعاً . ولكن في الوقت الحاضر ينبغي أن نحتفي ويندر ظهورنا . سنظل رقيقهم من الغابات »

تمتمت المعجوز . « هذا حسن ... من الغابات . لا تقلقي سوف يكونان بخير وعافية عندما نعودوا ... سوف لا أنسى نبيك » .

وارتفع صوت من الناحية الأخرى من الدور !

« تالكا ! أين أنت ؟ تالكا ؟ »

« إني قادمة يا أبي ! إني قادمة » .

وأشرقت قدمها البيضاء والى ضوء الشمس . وهزت أتيسيا رأسها .

« كأنها معرافة مرحة صغيرة . حسناً ، أيتها العظام القديمة — لقد حان الوقت القدي

نعين فيه بالتين »

جهدت حتى انتهت على قدميها . ولا بد من جهد تبذله حتى تقوم . فإذا قامت

ظهرها حملتها قدمها اللوجعتان إلى حيث تريد واستندت بصلاية على هراوتها ومضت تطوف

في الحديقة وتطلعت عيناها النصف مكشوفتين في ممرات الحديقة تحت أشعة الشمس وهي بها

خبرة . تطلعت فإذا بها تتخيل أن جميع المرات متعلقة غير مسلوكة . لقد عادت هنا ،

في هذه اليقظة . كم من السنين ؟ تسعين . واحداً وتسعين .

« كلاً . لقد ضللت . لقد أتقنتي السنون

يهما من الألمان ؟ بعد أيام قلائل قد يأتيها الموت . . . ذلك الموت الذي تملكاً طويلاً على الطريق

انتظرت هادئة . وكانت تسمع أصواتاً خشنة تنطلق بلغة غريبة عنها . فلتندعم يثرزون . ماذا يههما ؟ أنها لن تفهم شيئاً منهم نادوها . فابتسمت بطيبة قلب ،

واجتهدت في أن تفحص عنهم بنظراتها لعلها تعرف أي أناس هم . نعم . هنالك ثلاثة منهم . ثلاثة رماة ، لا يكبرون الفنين الذين يرقدان في الظليلة — هنالك في الركن الأبعد من حديقة جارها . وسرعان ما شغلها فكرة . أيوجد في الصواع قدر كاف من الماء ؟ أما لو ذهب هؤلاء وتركوها في سلام . لقد حان الوقت الذي ينبغي أن يعني فيه بأمر الفنين . نعم . ستفعل ذلك بمكر ودهاء . باحتيال . وسوف لا يشقه في أمرها أحد فن ذا الذي يهتم بمجوز تقعد حتى عن الشيء والسعي لحاجتها ؟

نادوها . ثم نادوها صارخين ، ثم ذهبوا . ظنت أنيسيا أن هذا آخر ما تراه . ولكنها ما كادت تهم عن درج الباب حتى ملأ الألمان الفناء .

« أهذه صومعتك » ؟

رفعت ذراعها لتقي عينيها وهج الشمس . كان أحدهم يكلمها بالأوكرانية — بلغتها الأصلية ، ولكن الكلمات كانت تخرج من فم خشنة لا عذوبة فيها . وفهمت بالضرورة كل ما قال

أشجار البرقوق .

« هوذا . اشرب ، اشرب يا بني . ماء زلال رائع بارد . جئت به من بئرنا . إنه حقيقة مما يرد الحياة وليس ككل ماء . »
كان الجريح الآخر يتململ في حمى تفرع أوصاله وترض مفاصله . فبللت خرقة ووضعها من فوق جبينه .

« وهكذا قد يتفق أن يكون جسد منهوك متداعٍ بالقدم وبالزمن ذا منفعة . . . ونالكا . . . ويح الطريقة التي اتبعتها معي ! . . . ويجهان طريقة آمن ذا الذي يحل أن المريض يحتاج إلى شربة ماء . . . وأنت يا بني أرقد في سلام وأرح نفسك . احتمل بصبر يوماً أو يومين . سوف تتحسن حالك بعدها »
وضعت الصواع بجوار الجريحين ودلفت من ثَمَّ إلى صومعتها . فلما بلغتها ، جلست ثانية على درج الباب وأغفت بعد أن أتعبتها واجبات ذلك النهار . لقد ظلت نائمة حيث هي طوال الوقت شاعرة بطنين الذباب المتكاسل من حولها ومحاراة الشمس وبالنعمة التي تغشاها من الدفء الذي بعثته الشمس في جثمانها . ولكن برودة المساء أيقظتها . وبجهد جاهد انطلقت نحو الجريحين ، ثم عادت إلى صومعتها « حسناً . لقد مرَّ بي النهار في النهاية . . . وفي الغد ! سيكون الغد يوماً مشرقاً صافي الأديم أيضاً .

في صباح اليوم الثاني دخل ثلاثة فناءها . أما الجدة أنيسيا فلم تأبه بهم أي شيء . ماذا

هراوتها تتأمل هؤلاء الغرباء في صمت عميق.
«كيف أعرف أين ذهبوا؟» وهزّت
كتفها المترجم عندما وجه لها السؤال.
«إني عجوز فانية، وقلمأ أخرج من الدار.»
«هل تبينين وحدك هنا؟»

«نعم، وحدي. عشر سنوات مضين
الآن وأنا وحدي. لا أحد معي.»
تركوها في سلام. ولكنهم احتلوا
المنزل وتبوءوا كل مكان فيه: الرفوف
والمقاعد والفرش وبدءوا يتكلمون في أمر
مساخين. ظلت هي حيث كانت برهة ما
ثم اتجهت نحو الباب. ولكن يداً ثقيلة
سقطت على كتفها وجذبتها إلى الوراء.
فتحقت أنهم لن يسمحوا لها بالخروج من
الصومعة. وأخذ الملازم يناقش في شيء ما
مع المترجم. واستمر نقاشهما برهة غير
وجيزة.

«انتبه إليها ولا تغفل. قد تكون
امرأة عجوزاً عمياء. ولكن الشيطان وحده
يعلم ما تخفي وراء ذلك. قبل أن تعرف ما
هي، قد ترسل نبأ إلى ناحية ما بأننا هنا.
وأوامري تقضي بأن لا تتركوها تخرج من
الصومعة. ألقوا عليها نظركم باستمرار ولا
تغفلوا عنها برهة واحدة.»

فلما أعرب لها المترجم عن أنها لا بد من
أن تظل في داخل الصومعة دائماً، غضبت
أنيسيا رأسها علامة النهم مرات. أي فارق
عندها؟ لقد أمرت أن تظل في داخل

ولكنها لم تجد من نفسها رغبة في الكلام.
ولكن الضابط أخذته الحدة. «تكلمي!
أهذه صومعتك؟»

«صومعتي! لماذا؟»
وأخذ الضباط يتناجون. ولكن أنيسيا
كانت في ثورة من الغضب الحاد، لأنهم حالوا
بينها وبين الشمس، ومضت تخرج أنفاسها
بشدة، فكان لها زحير.
«ما هذا؟»

«لا شيء. انه لا شيء.»
«افتحي الباب.»
«لماذا. انه مفتوح» قالت ذلك
بعجب يمازجه الغضب.
صاح فيها المترجم. «افتحيه إذا أمرت
بذلك.»

بكل بطء، وبكثير من التأوه
والتوجع جاهدت حتى قامت على قدميها،
ثم مالت بصلاية على هراوتها ودفعت الباب
فانفتح على مصراعيه ودخلت الصومعة.
فازدحم الضباط من ورائها.
«أنا صومعة صغيرة مكدسة بالأشياء.»

ذلك ما لاحظ الكولونيل مقطباً وجهه.
«يمكن أن تفتح النافذة.» فاندفع أحد
صغار الضباط نحو النافذة ودفع مصراعيها،
فأحدث دفعهما بتلك الشدة جلجلة جلجلت
في الحديقة النضرة المبللة بندى الصباح.

قال الملازم: «سلها أين ذهب الأهلون؟»
وقفت أنيسيا حيث كانت متوكئة على

جملة قائلها المترجم وقد ظهر خفاءه ، كما لو كان قد خرج من الارض . فردت عنها يده غاضبة بطرف هراوتها .

« والآن : كف عن هذا ... لي أن أخرج بعض الاحيان . ألا تفهم ؟ »

رجع عنها ، ولكنها لاحظت انه يتعقبها . فهزت كتفها صامتة .

« حسناً . أقول إن الالمان ينحشون

امراً عجوزاً ؟ وعلى الرغم من هرمي ، فاني أفدراً أن آتي عملاً . كذلك هم يظنون . حسناً جداً . راقبي . راقبي »

عادت أدراجها الى الكوخ ، وقبعت في مكانها من فوق الموقد . كانت مشفقة على

الفتين . وكانت الفكرة فيهما تجثم على صدرها . همس في وعيها هاتف وكأنها تقول كان من الممكن

أن تتمكن « نناشا » الصغيرة من التسلل إلى الخارج . أما أنا ... جسد مهدهم عتيق مثلي .. ماذا

أستطيع أن اعمل يا ولدي وهم لا يسمحون لي بالخروج إذا أردت . هم يدرجون من ورأي

كما لو كنت من ... من ذا يعلم إلا الله ... من أنا . والآن : ماذا أفعل . ماذا يجب

علي أن أفعل ؟

ومضت تتقلب في فراشها قلقة ، ترسل أنفاسها دفينة قوية .

فلما هوّم النعاس برأسها وأخذتها غفوة حملت بهما . كانا يطلبان ماء ... يتوسلان .

يطلبان الماء . ولكن ليس هناك قطرة واحدة في الظليلة . انهما يناديانها . يناديان الجدة

الصومعة . إذن فلتظل في داخل الصومعة . تسلمت سطح الموقد حيث فراشها وأغفت .

أما الالمان فكانوا يتكلمون صاخبين في داخل الحجرة ، وقد بسطوا على المائدة بعض الخرائط

ومضوا يتشاحنون ويصفرون ، وأرض الغرفة تقعقع تحت ثقل أحذيتهم ذوات الدسر

الحديدية . لم تأبه بشيء من ذلك . وظلت في غفوتها ، والباب يطن من حولها ، والأبواب

تجملجمل ، والجند يخرجون ويدخلون مسرعين . كل هذا كان يصل إلى حسها كما لو كان من

وراء ضباب كثيف ، فان جسمها كان واقفاً تحت سلطان ذلك الخدر الذي يسبق النعاس .

ولكن القلق ساورها عند ما جن الليل . فهناك في الظليلة الختفية وراء أشجار البرقوق

قد يحتمل أن لا يكون في الصواع . نقطة ماء . والفتيان : لا شك في أنهما ينتظران الجدة

« أنيسيا » بفارغ الصبر . ولا يفتظر أن يكونا قد عرفا ما هو واقع في ذلك المكان .

وكل ما يتبادر لهما أن العجوز قد نسيتهما ، وأنها أكسل من أن تأتي بحركة ...

كانت حينذاك في تمام اليقظة والتنبيه ، متطلعة إلى كل ما يحدث من حولها في الحجرة .

تجمعوا من حول الباب ، ولكنها كانت تراهم يروحون ويغدون في المشى . أيقف

حارس إلى جانب الباب يلحظه ؟ كلا . ليس من فرصة للخروج متسللة بحيث لا ترى

وانزلت هادرة من فوق الموقد « إلى أين أنت ذاهبة ؟ »

جلس السكولونيل في وسط الحلقة ،
مستلقياً على مقعده بعظمة ، وخياله يتراعى
رواحاً وجيئة على حائط البهو كما تحرك .
وكان مصباح الغاز يلقي ضوءه الى أسفل ،
فكانت عيننا السكولونيل تتواريان في حدقتيهما
الغائرتين . وكان المترجم واقفاً الى جانب المائدة
على مقربة من الجريجين . سأل السكولونيل
سؤالاً ، فأعاده المترجم بلغتهما ، ولكن
بصوت أجش كريحه .

« من أي الوحدات أنتم ؟ »

وكانت الجدة أنيسيا تستطيع أن تسمع
بدقة ، كأنما تلك السدادة التي سدّت أذنيها
منين ، قد زالت في لحظة . وكانت تصل اليها
الكلمات واضحة بيّنة ، على صورة لم تعتدها
أياماً طويلاً .

حتى أنفاس الجريجين المترددة العميقة ،
كانت تصل سمع « أنيسيا » وهي مستجمعة
من فوق الموقد . كانا يجاهدان في سبيل
التنفس بقوة من فيهما الياسين . كانا
يتنحان ، ولكن أيدي الجنود الألمان كانت
تسندهما بقوة وخشونة ، ليثبتا مكانهما .

« من أي الوحدات أنتم ؟ »

لم يجيبا . وقرع السكولونيل بيده على
المائدة بشدة محدداً .

« قل لها اني لا أحتمل شيئاً من هذا
الهذر . أهذا واضح ؟ قل لها ان نصيحتي ،
ونصيحتي الخالصة ، أن ينكما . عرفهما ان
لدي طريقي الخاصة لمعاملة أمثالهما . صامهما من

انيسيا . والجدة أنيسيا لا تحضر . لقد
انحمر الرباط عن رأس أحدهما ، وليس من
يسعفه برّده حيث يجب أن يكون . انهما
يشكوان إلى تنالكا من أن الجدة أنيسيا لم
تلتزم كلمتها ، وان تنالكا تشير اليها مهددة
بطرف أصبعها معبرة عما يجول في رأسها .
يا لله . انهمرت الدموع من عيني انيسيا
لغضب ما سمعت . يا لله . انهما يصرخان
بجدة ، يطلبان الماء . كانا يصيحان بصوت
عال ، حتى فزعت انيسيا من نومها ، وشعرت
أن شيئاً غير مرغوب فيه قد حدث . تطلعت
من فوق الموقد ، ولكن خيل اليها انهما
ما تزال نائمة .

كان الضباط جالسين من حول المائدة ،
على المقاعد ومن حول القماش . وكان في
مواجهتهما القتيان صاحباً الظليلة واقمان
ومن حولهما نطاق من الجنود . خيل إلى الجدة
انيسيا أن ذلك الرمد الذي أخذ يغشى على
عينها منذ سنوات قد انكشف عنهما فجأة .
رأت كل شيء بدقة لم تتعودها منذ أعوام
طوال . يا للعجب . هاهي ذي ترى اللوائف
على رأسيهما وأرجلهما واذرعتهما . وهاهي
ترى ما في قممات وجهيهما من التعبيرات .
كانت عيونهما تلمع بأشعة محمومة هاذية .
رفعت انيسيا رأسها من فوق الموقد ،
وأظافرها الحادة تقطع راحتها غيضاً . وانما
فعلت ذلك لتتصرف بهذه الحركة عن البكاء
بصوت مسموع .

« لا أعرف » .

« أنت لا تعرف ، إليك يا هنس . نبه ذاكرته ، أيةظها ! أن الفتى المسكين قد نسي ولاكننا منجته حتى يتذكر . نعم : سنعمل غاية جهدها حتى يتذكر ! »

تبع ذلك ضربة على الفك ، ثم ثانية وثالثة : وظهرت على اللقافة قطرات من الدم الجديد : وبجهد عظيم كبت أنيسيا عواطفها فلم تصرخ ، وحبست صوتها المتهرج في جنجرتها الواهية .

« أين القرويون ؟ »

« لا أعرف : لم أر منهم أحداً » .

وفي سورة من الغضب لوى الكولونيل حزمة الاوراق التي كانت أمامه على المائدة وأخذ يفركما بأصابعه .

« انه لم ير أحداً منهم يا هنس . تصور . انه لم ير أحداً منهم . تقدم إذا وأزر له عينيه . أتقهم . خذ بيده حتى يستطيع أن يرى » .

سقط رجل الجيش الأحمر على الأرض . وانتصبت أنيسيا . كلاً . لن يكون ذلك . ان عينيهما العتيقتين تغمران بها ! فقد اسفل الجندي منكبيه وجلس آخران على صدر الرجل المنطرح على الأرض ، وبكل تؤدة وثبات أولوج الجندي هنس ذلك النصل المحدود في عين الجريح اليمرى . وسرى إذ ذاك عويل وحشي ملاً جو المكان ، ثم سكن فجأة .

« أين الجيش »

« لا أعرف سوف لا أخبرك . انك لن

أي الوحدات هما ، ومتى زلت الوحدة هنا ، وإلى أين ذهبت ، ومن أين أتت ، وأين الجيش ، وأين سكان القرية ، وفي أي المعارك حارباً ؟ هذا ما أطلب . ابتدء ! »

أدركت أنيسيا من صوته ما فيه من تهديد ووعيد . شعرت بأن قلبها يدق وكأنه سينفجر . دق قلبها دقات قوية لم تعهدها من قبل سنين طويلة ، وخيل اليها أن أولئك الجالسين من حول المائدة سوف يسمعون هدير تلك الثورة القائمة في صدرها . ولكن لم ينظر نحوها أحد منهم . كانت كل العيون متجهة إلى الفتين الواقفين أمام المائدة ، تسندهما أيدي الجند الخشنة القاسية .

« من أي الوحدات أنتم ؟ »

تنفس الفتى المشجوج الرأس طويلاً وبعمق . وانظرت الجدة أنيسيا الجواب ، وهي تنفض من قدميها لفرق رأسها .

« سوف لا أجيب ! »

« انك لا تجيب . حسن . إليك يا هنس ساعده حتى يخرج . إنه لا يستطيع أن يخرج الكلمات من بين أسنانه . اذهب وخذ بيده » فرفع الجندي يده وضرب الجريح الروسي على وجهه بجمع يده . ارتدت تلك الرأس الجريحة إلى الوراء . الرأس التي تغشاها تلك اللقائف القذرة المدماة . ولكن الجريح امتجمع إرادته وبذل جهد الصابر فتماسك ولم يتضعضع .

« سوف لا أخبرك ! »

« أين الجيش ؟ »

جلست حيث هي ، ويدها على قلبها ،
كأنما هي تثبته مكانه . وترأت خيالات سود
على الحائط . هنالك كان الفتى الثاني واقفاً
أمام المائدة . كان يتمايل ضعفاً . ولكن أيدي
الجند الخشنة كانت تعضده .

« سلة »

سترت أنيسيا رأسها تحت الغطاء .
وسدت أذنيها حتى لا تسمع ، وضغطت عينيها
بيدها حتى لا ترى ، ومع تنهدة خرجت من
أعماق نفسها لعنت مصيرها الذي جعلها تعيش
الى التسعين أو ما فوقها حتى أوصلها الى هذه
الليلة الليلية . لعنت عينيها لأنهما لم يفقدا
ضوءهما ، ولعنت أذنيها . لماذا لم تفقد عيناها
البصر ، ولم لم تفقد أذناها السمع ؟

ومن خلال الغطاء استطاعت أن تسمع
الرواية الأولى تتكرر ، الصرخة الداوية ،
وأناث الألم العميقة .

« لا أعرف ، سوف لا أخبرك » .

ساد السكون . ومضت برهة لا تستطيع
فيها أن تمد رأسها من وراء غطاءها لتستطلع ،
وبعد لاي مدت رأسها بتألم . ان الألمان
يتأهبون للنوم على ما يظهر . انهم يخلعون
الأحزمة والأحذية . لقد أغلقوا المصاريع
الخشبية على النوافذ وأقفوا الباب ، وعسكر
الجند في خارج الصومعة ، وظل حارس يذرع
الأرض رواحاً وجيئة أمام الباب . ولكن
الضباط على ما يظهر لم يكن لهم ثقة بأحد .
فقد امتحن الكولونيل بنفسه قفل الباب

تفوز بشيء مني » — كان هذا جواب الفتى
الجريح ، ولكن بصوت عميق شديد جاف .
وانحدر الدم من الحديقة المفجورة إلى فمه
وقام الكولونيل من مكانه وانحنى على الرجل
المخضر وارتسمت على وجهه أمارات دلت
على الدهشة والعجب ، ثم ركل الجسد الهامد
بطرف خذائه

« سلة للمرة الأخيرة هل هو محبب » ؟
وانحنى المترجم على الفتى الممدود على
الأرض . وسمعت الجدة انيسيا صوت الدم
يخسرج في صدره . ومن خلال ذلك الصوت
الكريه استطاعت أن تسمع بضع كلمات تخرج
بتناقل وجهه ، مختلطة بأناث الألم ، وكأنها
تسمع :

« أيها الرفقاء . هيا . تقدموا ممرعين
الوفعة الأخيرة ، فلنقدم » .

« ماذا . ماذا . ماذا يقول » . سأل
الكولونيل باهتمام .

« لاشي » .

« ماذا تعني بلاشيء . إنه قال شيئاً ؟

« قال شيئاً غير مفهوم » .

« اقض عليه إذا » بذلك أمر الكولونيل .

« فرفع الجندي سنكيته » .

« لا ليس هنا . خذه في الخارج » .

فأمسك الجندي بذلك الجسد الهامد من
تحت الإبطين وجره نحو الباب . ورأت انيسيا
رجليه الواهيتين تسبحان من فوق الأرض
فتركان أثراً من الدم في طول الحجرة .

وجسّ الباب والنوافذ ، واقترب من الموقد
ليرى العجوز . أفاثمة هي ؟

أقفلت أنيسيا عينيها ، وتنفست بتخاذل
وهدهوء ، كأنها هي فائمة .

وأطفئ المصباح . وأخذ الزمن يمضي
بطيء وهوادة . يا لله . كم هو بطيء ذلك
الزمن . وفي ظلام الحجرة الخفيف المضي ،
كانت الثواني كأنها الاحقاب . أحقاب
الازل . لقد وقف الزمن فلا يتحرك .
وكانت إذراة أنيسيا وقدمها كأعمدة من
النسيج ، وقد فصح جبينها بعرق بارد منلوج .
وانحدر العرق إلى ظهرها لا بد لها من
أن تفعل فعلاتها . نعم هذا قضاء .

كان بعضهم يغط غطيظا . وجلست أنيسيا
من فوق الموقد ، وخيل اليها أنها قد ترى في
ذلك الظلام الدامس ، وأن كل حركة تأتيها
قد تسمع ، وقد تنم عنها . ولكن الألمان
كانوا في نوم عميق . وكان غطيظهم منبعا
من انحاء المكان . هنالك هم يرقدون .
متقلبين على فراش خشن من القش الجاف .
ونام الكولونيل في المهد ومدت أنيسيا
إحدى رجليها بخذر من فوق الموقد وانتظرت
أما لو سكن قلبها عن ضرباته تلك . عسى
هذه الضربات لا توقظهم . ولكن لا . انهم
في غمرة من النوم . النوم العميق الهادي
الذي تطلبه أجسام انهمكها التعب . وأخذت
أنيسيا طريقها نحو الباب . ومن ثقبه
أخرجت المفتاح بخفة ومن غير أن تحدث

صوتا . ثم مضت تحكم قفل الرتاج من وراء
كل نافذة . أية قوة كانت مخترنة حتى تلك
الساعة في اليدين الواهيتين المرعشتين !
والآن وقد أحكم قفل الباب والنوافذ ، وسدت
جميعا بأحكام ، فليس في استطاعة أحد أن
يدخل الصومعة ليقلق النائمين أو يوقظ الضباط
انتظرت دقائق ، ثم استدارت بخفة من
حول المائدة ، نعم ، كانت الزجاجاة ما تزال
في مكانها ، إنها مملوءة حتى القمة ، لقد أتت
بها نتالكا من الخزن قبل ذهابها وتركها
هنالك ، إنها ملائمة .

وشدت العجوز السدادة ، ومن غير أن
تحدث أي صوت انحنت على الفراش ، وصبت
قليلا من الكيروسين على القش عند قدي
الـكولونيل ، ثم ارتدت بخفة خطوة واحدة
وصبت بخذر وبطء مثلها على الأرض حيث
كان يرقد الضباط ، ثم على العتبة ومن حول
الحجرة بأجمعها .

كان كل شيء جاف . الجدران والأبواب
والعصائد . منذ كم من السنين وقفت تلك
الصومعة حيث هي ؟ كان قوامها الخشي جافا
كالهشيم ، نعم ، الهشيم . طبعاً كالهشيم .

وبأصابع مرتعشة فتشت عن الثقاب تحت
الغطاء ، وخيل إليها أن شعلة الثقاب قد رنت
رنين ظلقة نارية ، ولكن كل شيء كان هادئا
في داخل الصومعة ، اللهم إلا غطيظ الرجال
المتعبين مطرداً نظيماً ، رجال أخذهم سلطان نوم
عميق . وقربت الثقاب المشتعل من أرض

الحجرة ، ثم شعرت بأنها لا تقوى بعد ذلك على الحركة . وامتد اللمب بسرعة في المهشم الجاف ، فتلوياً كأنه أفعى هاربة .
لم تستطع أنيسيا أن ترفع بصرها عن ألسنة النار ، ولم تشعر بأن ثوبها المشبع بالكبروسين قد اشتعل .
وبعد قليل نهض أحد النائمين صائحاً ،
ولكن الصومعة كانت طعمة للنار الحامية ، التي اندلعت ألسنتها ، وكان أحدهم يعمل في الباب ليفتحه .
وقامت أنيسيا متحاملة على رجلها المهترئين ، ولكن لتدلف في النار . وكان آخر ما جال في خاطرها : الباب والنوافذ :
أهي محكمة القفل ، موصدة لا تقهر ؟

وصايا صحية

الفاكهة في الغذاء اليومي

من الناس من يأكل الفاكهة بعد وجبة كاملة ، إذ تكون الشهية مثقلة ، والجسم منهك بالتعب . وآخرون لا يتناولون الفاكهة حذر الاسهال ، وقليلاً ما تسبب انفاكهة هذا المرض اللهم إلا إذا كانت قد تجاوزت حد النضج أو كانت في تخمر . وقد تسبب الفاكهة بعض الأحيان قليلاً من المتاعب إذا أكلت بين الوجبات وفي وقت غير مناسب . وينبغي أن تؤكل الفاكهة كجزء متمم للطعام ، فإذا كانت ناضجة نمت ولم تضر .

الاحتياط في تناول الطعام

يمشأ أكثر الناس على نصف ما يأكلون تقريباً ويرهقون طاقاتهم الحيوية بأرقام الجهار على التخلص من النصف الآخر . في حين كان من الواجب استخدام الطاقة المفقودة في الجهد العقلي أو الجسماني . والسبب المباشر لسوء الهضم هو تلك العادة السكرية ، عادة الجلوس إلى الطعام لأن وقته قد حان . ثم نغري بالالوان اللذيذة فناكل ونمتلى في حين أن إباء الشهية وعدم الشعور بالجوع هو نذير الطبيعة ، يوحى إلينا بأن الأكل غير ضروري
إن آلافاً من الناقين قد ساروا إلى قبورهم بأغراء أصدقاء جهلاء أخطأوا بحسن قصد .
ذلك بأنهم قد يشجعونهم على تناول الطعام والشراب ، ظانين أنهم بذلك يستردون قواهم ، فيفقدون كل شيء .

التراب

يفزو الموت

كيف أدت المباحث في التعمدين إلى كشوف علمية
أعلى قيمة من كل الذهب الذي تخرجه كندا .

إن أحدث انتصار سجله العلم في العصر الحديث ، هو انتصاره على أقدم مرض أصاب
الإنسان منذ أبعد العصور .

في فجر التاريخ وفي مكان ما ، وقف رجل بدائي يعمل بجهد السميت وبصبر لا ينفد شهراً
بعد شهر لكي يفسح من جوانب كهفه الذي يؤويه فمضى مستخدماً عضلاته القوية في نحت
صفحة من الجبل ، مستنشقا التراب من فئات الصخور . وذات يوم تصلبت وصلات أصابعه
فلم تستطع حمل أداته ، وضاق تنفسه فلم يصل إلى رثيقه الهواء حتى كادت تتحطم ، ثم خرَّ
صريراً وأسلم الروح . كان هذا الإنسان البدائي أول ضحية من ضحايا النجلد السليكي .

بعد أزمان طويلة لا يحصيها العد — أي في العصر الحديث — مات خمسمائة من العمال
كانوا يحفرون نفقاً في خلال بضعة أسابيع . في الدهور التي تخللت الحادئين — وهي دهور
تتضمن فيما تتضمن أحقاب التاريخ الإنساني برمتها — ظلت وظيفة التنفس الطبيعية ، وهي
وظيفة تعود على الإنسان بالصحة والعافية والحياة ، تقضي على العمال بالمرض والموت ، فراحوا
ضحية داء خفي يحول رؤاهم إلى ما يشبه الجلد الجاف .

منذ ١٩٠٠ سنة مضين سماه الكاتب الروماني بلينيوس داء « قاطعي الأحجار » وعرفه
آخرون بأنه سل المعدنين أو عفن السنّانين أو ربو الخرافين أو سعال صنّاع الآجر ، إلى غير
ذلك وهو يصيب طبقات كثيرة من الناس كالسبّاكين والفلاحين وصنّاع الخزف وغيرهم ،
فاذا لم يقتل ، أدّى إلى مرض السلال . أما الوقاية منه فأنحصرت في تربية الشوارب
واللحى . وكانت هذه نصيحة الأطباء إلى شهر أبريل سنة ١٩٤٠ . وقد أدت فعلاً إلى
منع شيء قليل من الإصابة بهذا المرض .

وليس معنى القول بأن العلم انتصر على مرض التجلد السليكي، أن حُفَّار ذلك النفق الذين قضى عليهم المرض تلقاء صملهم هم آخر من يموتون به، كما أن استكشاف الانسولين ليس معناه أن داء السكر سوف لا يقتل أحداً من الناس. ولكن معناه الصحيح أن في يد الإنسان الآن سلاحاً قوياً فعّالاً يستعمله في اتقاء فعل حبيبات السليكا التي لا يزيد حجمها على حجم الميكروبات المجهرية. ومن أعجب الأشياء أن هذا السلاح هو بذاته... « تراب »، مكون من حبيبات دقيقة من الألومينوم تُصَفِّح الرئة وتحفظ رطوبة أنسجتها الاسفنجية من فعل التجلد الذي يحدثه تراب السليكا. ولكل شيء آفة من جنسه.

يرجع إلى كندا الفضل الأكبر في هذا الاستكشاف، وتلها أمريكا وبريطانيا. ففي شمال كندا الأقصى وفي مبنى عظيم مملوك لمناجم « كابوسكايج » في أونتاريو، وهي ثاني المناجم الكبرى لاستخلاص الذهب، يدخل مئات من العمال في مناوبتين، حجرة جافة، فيرتدون ملابس العمل، وفي أثناء ذلك يستنشقون في جو الحجرة هواءً ممزوجاً بتراب الألومينوم، نسبة تركيزه ٣٠٠٠٠ جزء من ذلك المعدن المسحوق في كل سنتي متر مكعب من الهواء. ويشبع جو الحجرة بذلك التراب قبيل دخول العمال إليها. ومسحوق هذا المعدن لطيف لا يرى، وهو فوق ذلك بلا رائحة أو طعم.

ولا يُستخذ هؤلاء العمال محل تجربة، فإن زمن التجربة قد فات منذ زمان. فليس من إصابات جديدة بالتجلد السليكي بينهم، والمصابون به من قدامى العمال آخذون في سبيل الصحة. والفضل في ذلك كل الفضل « لحجرة مسحوق الألومينوم ».

ولقد كان طريق البحث الذي أدّى إلى تأميم « حجرة مسحوق الألومينوم » طريقاً مملوءاً بالعوائق والشكوك والفشل. كما ينبغي أن يقال أن السبب الذي حمل على هذا البحث لم يكن فيه شيء من إنكار الذات أول شيء، فإن تقريراً وضعه ثلاثة من الباحثين تضمن أنه « بعيد شيعوع مرض التجلد السليكي ومعرفة أنه مرض لا بدّ من أن يصيب العمال في المناجم حتماً، أجه فكر الأطباء والراقبين في هذه المناجم إلى أهمية تلك الظاهرة وما نشأ عنها من مشكلات في صناعة التعدين ». وقد كان تفشي هذا المرض سبباً في نفقات باهظة تنفقها إدارة المناجم، بغير نتيجة بينة. لهذا كان للانتصار على مرض التجلد السليكي قصة تضارع قصة استكشاف التطعيم والراديوم والانسولين والسلفا والبنسلين.

فإن أول المشتغلين باختضاع ذلك المرض لسلطان العلم أن فئات تراب السليكا الحادة الأطراف إذا دخلت الرئة صملت فيها عمل آلاف من المدى الصغيرة. فتصيب أنسجتها بقروح.

واقترح بعضهم الالتجاء إلى طريقة التهوية الصناعية، وقال غيرهم باستعمال المضخات المائية أو التقنع بالقناعات المرشحة، غير طالين أن تراب السليكا إنما يؤثر أثره بالفعل الكيميائي، وأن التهوية والمضخات المائية والأقنعة المرشحة لا فائدة منها في حجب جزيئاتها الدقيقة عن دخول الرئة.

تطوَّع ثلاثة رجال لواجب البحث والتنقيب عن سبب هذا المرض وعلاجه. «ج. ذي» مهندس التعدين و«و. ب. روبسون» كبير الأطباء و«د. دي. ا. إرون». والأولان من موظفي مناجم «ماكنتاير» والثالث استاذ البحث الطبي في جامعة أونتاريو. واتخذوا سير «فريدريك بانننج» مستشاراً لمحوهم.

ولما كان من المستحيل إزالة التراب من الجو الذي يعمل فيه العمال، صمَّم هؤلاء الباحثون على قاعدة أساسية، هي الكشف عن مادة تقضي على الأثر الذي يخلفه تراب السليكا — يزدردها العمال.

ولقد مات أجيال بعد أجيال من الأرانب وخنائير غينيا في المناجم ومعامل البحث، طوراً بنشر التراب الطبيعي وطوراً آخر بذر السليكا وأتربة أخرى عليها. وجرى البحث على أن ترسل أعضاؤها الرئيسية إلى دكتور «إرون» في تورونتو للفحص عنها وتحليلها في حين ظل «ذي» و«روبسون» يعملان بكل جهد مستطاع ويجمعان بين أنواع الأتربة والسليكا ويمزجانها ثم يذرانها في الجو الذي تعيش فيه خنائير غينيا، لعلهما يقفان على شيء يقضي على أثر السليكا في الجسم البشري.

هنا وصل بحث علماء بريطانيا إلى أن السليكا إذا تحاتت حتى تصير ذرات غير مرئية أحيطت ببلايين عديدة من جزيئات الأوكسجين العاطشة، فتذوب هذه الجزيئات في رطوبة الرئة وتحدث الحامض السليكي، وهو الذي يسبب «تجلد الرئة» وربما كان هؤلاء العلماء قد أملوا أن تكون هنالك مادة تشبع عطش حبيبات السليكا المشبعة بالأوكسجين، فنقمعها قبل أن تحدث أحداثها السيئة.

وذات يوم، وبغير سبب خاص، ذرُّوا شيئاً من مسحوق الألومنيوم في منسف التراب الذي كانوا ينثرونه دائماً على مجموعة من حيوانات التجارب وأرسلت رئات هذه الأرانب إلى دكتور «إرون»، فبحثها ثم أ برق: «لا أثر لتجلد السليكي في الرئات بالعينة ١٧٣، ٣٤» فردَّ عليه «ذي» و«روبسون»: «وصلت البرقية» — فكأنهما رفضا أن يعملوا النفس بأن ذلك الخبر يعني شيئاً جديداً، غير أنهما ظلَّا يضيفان مسحوق الألومنيوم ذرّاً في جو

الحبس الذي تعيش فيه الأرانب فكانت نتيجة البحث أن التجلد السليكي لا أثر له في رئاتها كان من الظاهر أن البحث قد أدى إلى نتيجة حاسمة ولكنهما لم يثقوا ولم يعننا في الثقة . فان ما وصلنا اليه قد يكون « شيئاً » وقد يكون « لا شيء » فقبل أن تطبق النتيجة التي وصلنا اليها في معملهما الصغير على آلاف العمال في صناعات مختلفة ، رأيا أنه لا مناص من الاجابة على سؤالين :

الاول : أي تأثير لتراب الالومينوم على السليكا فيمنعه من التحول إلى محلول يستحدث حامضاً قنالاً ؟

الثاني : ما هو الأثر الذي يخلفه في الرئة إذا تكرر تزويدها بتراب الالومينوم ؟
فاذا اتضح انه ضار ، تركا الأمر كله ونسياه ، وعمدا إلى تجارب أخرى . أما السؤال الثاني فقد أجاب عنه دكتور « فرانيس فراري » ، مدير البحوث في شركة الالومينوم بأمريكا فقد سئل : « هل لدى الشركة عمال ظلوا يستنشقون ذرور تراب الالومينوم زمناً طويلاً ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فما أثر ذلك في صحتهم ؟ » فكان الجواب « ان العمال الذين يصنعون ذرور الالومينوم المستعمل للدهان والحبر يعيشون بصحة جيدة »

وقد أوضحت الأشعة السينية وسجلات العمل الخاصة بما لا يقل عن ١٢٥ عاملاً ظلوا يعملون في هذه الصناعة مدداً تتراوح بين ٦ و ٢٣ سنة ، أن الالومينوم قد يحدث فيهم آثاراً غير سوية ، ويظهر فضلاً عن ذلك أن صحة هؤلاء العمال هي في المتوسط أقوى من صحة ٣٠٠ عامل آخرين يعملون في أقسام أخرى لهذه الشركة

بل وضح أكثر من ذلك ، فان ثلاثة من المستخدمين كان قد ظهر في اللوحات التي صورت بها صدورهم بدايات السل ، ولكن هذه الآثار قد زالت من اللوحات التي صورت بعد تعرضهم مدة لاستنشاق تراب الالومينوم . وهنا عاد الباحثان إلى معملهما في غابات الشمال فملؤهما الثقة ويحدوهما الاطمئنان

ولقد علما أن حبيبات السليكا الدقيقة تنحل بمرعة إذا اتصلت بالماء ، وعلموا فوق ذلك انه إذا أضيف إلى الماء بـ ١ من تراب الالومينوم يمنع انحلال السليكا ، وكيف يحدث ذلك ؟ تذكر صبغة تسمى الاورين — aurine — ترد الالومينوم أحمر برافاً ، فذراً على قطع من الحجارة كسرت لوقتها مسحوق الالومينوم ، وتركها قطعاً أخرى من غير أن تعالج بمثل ذلك ، وصباً عليها صبغة الاورين ، فالحجارة المغشاة بمسحوق الالومينوم انقلبت حمراء برافة ، وظلت الأخرى بدون تغيير ، فان تراب السايكا قد أصبح بذلك خير ضار ، لأنه طلي بالمدن

هنا حان الوقت لتطبيق ذلك على الانسان ، وهذا يدل على أن ما يصح في تجربة المعمل قد يتفق أن لا ينجح في التطبيق على حالات الحياة التي من أجلها أفرغ كل الجهد . وفي هذه المرحلة انضم إلى الباحثين ثلاثة من خول العلماء هم دكتور ه . و . كرومي كبير أطباء مصحة الملكة الإسكندرية في لندن بمقاطعة أونتاريو ، وهو حجة في أمراض الصدر ، ودكتور ل . بلايسديل من كبار الباثولوجيين (علماء الامراض) والآنسة ج . مكفرسون الكيمائية بنفس المعهد . وبدأوا بحوثهم في مستشفى القديسة مارية ببلدة « تيمفس » ، وافتقوا ٣٥ طاملاً وضعوا تحت العلاج بشم تراب الألومينوم ، وعدد آخر لم يعالج به ، وكلا المجموعتين من المصابين بالتجلد السليكي ، وظل الجميع يعملون في محيط تراب المناجم في أثناء التجربة . بدأت تجربة انشاق تراب الألومينوم بخمس دقائق كل يوم ثم أطيلت المدة حتى صارت ثلاثين دقيقة ، وبعد مدة كررت فيها العملية ٢٠٠ أو ٣٠٠ مرة ، فكانت النتيجة ان سبعة منهم ظهر فيهم تحسن جلي ، واثني عشر ظهر فيهم تحسن نسبي ، ولم يتحسن الباقون . ومن الذين لم يعالجوا ٦٥ ساءت حالهم الصحية .

وقد قرر الذين عولجوا انهم أصبحوا أطول نفساً أو انهم لا يشعرون بضيق النفس ، كما زالت آلام الصدر والشعور بالتعب ، بل زاد وزنهم ، وأصبحوا أقل تعرضاً لاصابات البرد . على ان شيئاً من وجوه هذا التحسن لم يظهر في المصابين الذين لم يعالجوا . هذا كله وقد اعتقد الأطباء أن تراب الألومينوم انما هو مانع للتجلد السليكي ، وليس بشافٍ منه . ومن ثم أقيمت حجرة الاستنشاق التي ألمعنا اليها قبل

أقوال

- ♦ الحرية شيء لا تملكه حتى تعطيه
- ♦ يعيش أكثر الناس عيش من يتنظر ان يحكم عليه بما يكتب على لوحة قبره ، لا مما يعرف عن خلفه
- ♦ إن أفضل الأزواج لا يقنصون ، وانما يصنعون .
- ♦ الرجل العادي ، هو الذي يظن انه غير ذلك .

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه
فوالله ما أدري أين قلبي الهوى اذا جد جد البين أم أنا غالبه
فان استطع اغلب وان يغلب الهوى فتل الذي لا قيت يغلب صاحبه

الرماح ابن ميادة

تأثير الآلات الحديثة

في حياة الفلاح المصري

من حيث الثروة والعمل

همسة في أذن وزارة الشؤون الاجتماعية

تخيل داني انساناً وأفعى . وقف الانسان على قدميه ، وانبطحت الافعى على بطنها . ولكن انقلاباً خفياً خطيراً أصابهما . التحم ساقا الانسان واستطالا ، واندمج ذراعاها في جنبه وانبطح على بطنه ، وانفلق ذنب الافعى فصار ساقين ، وبرز من جنبها ذراعان فانصببت واقفة ، فصار الانسان أفعى ، وصارت الافعى انساناً .

كان لبضعة اختراعات قليلة اهتدى اليها في القرن التاسع عشر ، آثار اجتماعية لم يمر بخيال أحد انها سوف تترتب على تلك المخترعات . بل إن هذه الآلات ، كما أحدثت آثاراً اجتماعية ، كذلك أحدثت آثاراً سياسية ، خضعت لها الدول ، ولا تزال خاضعة لها حتى اليوم . فالآلات أحدثت كل الحركات العمالية التي شغلت العالم قرناً ونصف قرن من الزمان ، وقوّت روح المذاهب الاشتراكية والشيوعية وما اليها ، كما كانت السبب في قيام الروح السلطوية الاستعمارية في العالم الحديث . لأن العلم تبع التجارة في البحار ، كما قال مياسيو القرن التاسع عشر . والآلة زادت الانتاج ، وزيادة الانتاج تطلبت الأسواق ، وفتح الأسواق تطلب الجيوش والأساطيل .

ولكن تأثير الآلة لم يقف عند هذا الحد ، بل تمداه الى آفاق أخرى وأحدث آثاراً سوف تشكل عالم المستقبل القريب بحسب ما خلفت من ظروف وبيئات . من تلك الآثار أن كان لها أعمق الفعل في حياة الجماعات : الاول تأثيرها في تحويل الرأسمالية ، والثاني تأثيرها في حياة العامل . أما تأثيرها في الرأسمالية فأخرجها رؤوس الأموال من مجرد الملكية للأرض والبناء أو للأثاث إلى أموال منتجة بذاتها ، رؤوس أموال « طائفة » على ما يقول الاقتصاديون ، تخرج من يد صاحبها وترد اليه مرات عديدة في أوقات متفاوتة على حسب طبيعة ما توظف فيه من الأعمال ، فصارت بذلك أوثق ارتباطاً

بحياة الجماهير بعد أن كانت وثيقة الرابطة بصاحبها وحده ، شأنها في عصور الاقطاع . ومن ناحية أن رؤوس الأموال أصبحت وثيقة الارتباط بالناس وبالعامل خاصة ، نشأ الكلام في النظام الرأسمالي في العصر الحديث ، ومن الكلام فيه تفرعت المذاهب الاجتماعية الحديثة ، وإن شئت أن تكون أكثر تحديداً ، فقل تجددت تلك المذاهب بعد أن طمس عليها عصر الظلامية الفكرية الفأمن السنين ، وبعد أن طغى عليها عسف نظام الاقطاع حتى حدود العصر الحديث . هذا من حيث أثرها في الرأسمالية . أما من حيث تأثير تلك الآلات في حياة العامل ، فإن الانقلاب كان أعظم . فإن العامل قبيل عصر الآلات كان سيّداً نفسه ، إذ كان يعمل تحت سلطتين : إما سلطة الأسرة وإما سلطة الطائفة . فإذا كان عمله في وسط أسرته وانتاجه له ولها ، كانت الأسرة هي وحدها صاحبة السلطة العليا عليه وفائدة عمله عائدة عليه وعليها . وإذا كان عمله طائفي أو مهني فإن أصحاب المهن كانوا ينتظمون طوائف كل طائفة تختص بمهنة أو صناعة خاصة تقسم العمل وتقسم فائدته . فلما ظهرت الآلة ظهرت معها العامل وشيدت معها المدن الصناعية ، فخرج العامل من جو السيادة الذاتية إلى جو الاستعباد في ظل رأس المال والمعمل . ونسي مهارته اليدوية التي كانت رأسماله وملاذ حريته ، ووقف مكتوفاً أمام آلة تسيره وتحدد عمله وتحدد أجره ، وفقد إرادته أمام الآلة ، وفرضت الآلة عليه إرادتها ، فأصبح هو الآلة وأصبحت الآلة انساناً ، أشبه شيء بأفعى ذاتي وإنسانه . ومن هنا نشأت كل المشكلات التي نسميها اليوم مشكلات النظام الاقتصادي ، ونشأت إلى جانبها المذاهب الاجتماعية الحديثة على اختلاف ضروبها وتباين صورها .

هذه هي الظروف التي حاقت بالعالم الأوربي منذ نشوء الآلة ، أو بالحري الظروف التي خلعت على أوربا ثوب الانقلاب الصناعي . فهل نحن مسوقون في مثل هذه الطريق ؟ نقول نعم نحن مسوقون فيها وبخطوات واسعة سوف تستعجلها هذه الحرب عندما تضع أوزارها . مساقون فيها من ناحيتين : من ناحية العامل ، ومن ناحية الفلاح . أما مشكلات العامل فقد سبقتنا إليها أوربا ، ومشكلات العامل هنالك ستكون هي بعينها مشكلات العامل هنا . وتأثير رأس المال هناك ، سيكون تأثيره هنا . ولكن تأثير ذلك الانقلاب في الإصلاح المصري ، أمر يحتاج إلى شيء من التفكير وشيء من التطبيق ، هو موضوع كلامنا اليوم . نسأل أولاً : هل حدث في حياة الزارع المصري انقلاب أشبه بالانقلاب الصناعي الذي

حدث في أوروبا ؟ نعم حدث ذلك الانقلاب . وبدأ منذ عصر محمد علي . ولكن خطواته كانت وثيدة ، ثم تسارعت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وزاد تسارعها في القرن العشرين .

عاش الفلاح المصري خلال ثلاثة الأرباع الأولى من القرن التاسع عشر عيشه الذي ألفه في عصر المماليك ، وورثه عن العصور التي تقدمته . وترجع هذه الوراثة إلى العصر الاغريقي ثم إلى العصر الروماني من بعده . عاش هذه الحقبة غير شاعر بأنه يتقدم نحو انقلاب خطير بدأته سياسة محمد علي في مصر . فصار من حيث الوضع السياسي أكثر اتصالاً بأوروبا فشارك في بعض حروبها وتطلع من طريق تلك السياسة إلى السيادة بحرياً على الجزء الشرقي من البحر المتوسط . ومن حيث الانتاج الزراعي أصبح أكثر اتصالاً بالأسواق العالمية التي نصرف فيها أهم محصولاته وأهمها القطن . ولكن هذه الصلة بدأت صغيرة وأخذت تنمو على الأيام . هذا الانقلاب الكبير كانت له آثاره الجلى في حياة الفلاح المصري .

فإن الأسر الزراعية في الزمن الأول كانت تعيش مكفية الحاجة بعملها الذاتي . تزرع قطعة من الأرض تكفيها مؤونة العيش ، وتغزل قليلاً من القطن ثم تنسجها على مناسج منزلية ، وتستغل دواجنها لحاجة حياتها ، وتطحن حبوبها في طواحين إما يديرها الهواء ، وإما تجرها الدواب . وكان عمل الفلاح قليلاً فإن أكثر الأرض كانت بوراً وطرق الري بدائية ، إذ كانت تعتمد أكثر ما تعتمد على الفيضان وحده وطرق الصرف كانت معدومة بالمرة . فكان ما يزرع من الأرض جزء ضئيل ، ولكنه كان يكفي الحاجة ويزيد عليها . كان شأن الفلاح المصري في ذلك الوقت شأن الفلاح الأوربي قبل عصر الآلات . زراعة تكفي الحاجة ، وصناعة يدوية بسيطة معملها البيت وسوقها القرية .

ولكن الآلات أخذت تعمل عملها الثابت في حياة الفلاح المصري وأثرت فيه كما أثرت في حياة الفلاح الأوربي .

فإن اختراع الآلة البخارية زاد سرعة الانتقال برّاً وبحراً وزادت الصلة بين مصر وجاراتها من الشمال ، وعمت مشروعات الري وتلتها مشروعات الصرف ووردت المنسوجات الأوربية رخيصة الثمن ، فقضت على المغزل والمنسج واستبدلت طواحين الهواء والدواب بالطواحين الآلية وأخذ المحراث الآلي يحل محل المحراث الذي تجره الثيران ، وسلكت السيارات الطرق ، وبالجملية قضى الحديد على جزء كبير من حياة الفلاح الأولي ، وسيتقضي بعد

الحرب مباشرة على الجزء الباقي منها . فما هي الآثار التي ستترتب على مثل هذا الانقلاب وما هي العدة التي أعدناها لتتوقى نتائجها ؟ .

إذا وضعت الحرب أوزارها وسوق مصر جائعة والبلاد الصناعية في حاجة إلى الانتاج وتصريف ما تنتج، غمرت مصر بصنوف من البضائع أهمها الآلات الزراعية . آلات الحرث والري والبذر وجمع القطن والطحن والحصد والدرس والتذرية ، وجميع هذه الأشياء سوف توفر الأيدي العاملة في الريف بحيث يصبح الفلاح في شبه تعطل أكثر أيام السنة ، ويفقد بذلك ثمانين في المئة على الأقل مما كان يربح من أجر عمله في المزارع الكبرى وهو شيء كان على كل حال يقوم بسد جزء من حاجته . وستنشأ المعامل الكبرى حوالى بعض المدن ، فتمتص قليلاً من هذه الأيدي المتعطلة ، ولكنها مهما امتصت فسيبقى الجزء الأكبر من الأيدي متعطلاً عن العمل قليل الكسب ، فينزل مستواه إلى أقل من المستوى الذي هو فيه الآن . ومن هنا تنشأ مشكلتان : مشكلة عمالية : تقوم في المدن الصناعية ، وسوف يكون فيها العامل مضغوطاً من جميع نواحيه . فرأس المال يريد الربح بأقصى نسبة فينزل أجور العمال لتوفر الأيدي في الريف . ومشكلة الفلاح : الذي سيبطل متعطلاً ولا يجد باباً يكسب منه أجر العمل ، وسيقتصر عمله على غيطه الصغير الذي لا يكاد يقوم الآن بأوده بعد دفع نفقات الزراعة وإيجار الأرض .

هذه هي مشكلة الريف بغير إطناب . هذه هي المشكلة التي نحن مقبلون عليها . فما هي العدة التي أعدناها لتتوقى نتائجها الاجتماعية ؟

لا شك في أن رفع مستوى الفلاح له طريق واحد . طريق لا ثاني له . زد ثروته ترفع مستواه . فما هي الفائدة في أن تعرفه معنى النظافة وهو لا يجد ثمن الصابون ؟ وما هي الفائدة في أن تعلمه قواعد الصحة وهو لا يجد ثمن الدواء ؟ وقس على ذلك كل وجوه الإصلاح التي ذكرها كثير من الكتاب في أزمان وظروف متفرقة . إنها ولا شك وجوه إصلاح ضرورية ، ولكنها لن تنتج ولن تثمر أية ثمرة والفلاح في فقره المدقع الشديد . زد ثروته ترفع مستواه .

ونحن بعد مقدمون على عصر سوف تشتد فيه فاقة الفلاح . عصر ستقوم فيه الآلة مقام اليد العاملة في المصنع وفي الحقل . وسيفقد الفلاح مصدراً من مصادر رزقه : ثلاثة أرباع أجر عمله اليدوي في الحقول التي سوف يلعلع فيها صوت الآلات ، فتجبر على الفلاح الفقر

والخصاصة ، فوق ما هو فيه من فقر وخصاصة . آلات سوف تجلجل في الحقول فيندرج صوتها بالخراب الاجتماعي ، وإن أدت إلى زيادة الانتاج وقلة النفقات . ولكنها أرباح ليس للفلاح العامل أية فائدة منها . بل ستكون مصدر ذلة واستعباده ، أكثر مما هو فيه من استعباد .

وعندي أن الحل الذي تتطلبه هذه المشكلة له وجه واحد . فالواقع أن الأيدي المتعطلة في الريف ستزيد بعد الحرب ، وكسب عمل الفلاح سيقل فينزل كسبه وإرادته ، وسيحل به فقر عظيم . فإذا استطعنا أن نلجأ إلى وسيلة نتقي بها ذلك الشر كان هذا أمجد ما يقوم به أبناء هذا العصر لمستقبل مصر ، أمهم العظمى .

لكي نتقي هذا الشر ينبغي لنا أن نشيد دعائم الصناعات الزراعية في معامل صغيرة تنتشر بين القرى والضياع . صناعات تتصل بالانتاج الزراعي من جميع وجوهه . صناعات الألبان واللحوم الباردة والخضر المحفوظة وتربية الدواجن والنحل إلى غير ذلك من آلاف الصناعات التي يمكن استغلالها حتى من النفايات التي تتكدس من حول القرى وفي المدن . ويكون لنا إلى جانب هذا اسطول للنقل تام العدة يصرف هذه المصنوعات في أنحاء العالم حيث تطلب وحيث تستهلك . بذلك نجد للأيدي المتعطلة عملاً يعود عليها بكسب ، ورفع مستوى الفلاح من رجل منتج بالزراعة إلى رجل منتج بالصناعة أيضاً . هذا عمل ينبغي أن تمد له الحكومة يد المساعدة الفعالة بخبرائها ومالها . والأ فالنتيجة ما وصفنا . والله درك بإشاعر البراري إذ تقول مخاطباً هدهد سليمان :

خدمت سليمان في ملكه	وبلغتني نبأ عن مبيأ
وقلت : أخط بما لم تحط	به واجترأت أمام الملاء
وحملت منه كتاباً كريماً	فغزرت بالخبر المبتدأ
فيمم أولي الأمر منا وقل	معي نبأ يا له من نبأ
حسام الحقول : وأعني به	فلاح مصر علاه الصدا
غذاها وجاع وصان وضاع	وأروى الضياع وقاسى الظما
وأمرأته فوق هذا وذاك	تناهينه كبحاح الكلا
ورث الجديدان من حوله	ولم يلق بينهما ملتجأ
فيا ليت شعري : متى يعتنى	به ويضاء له ما أنطفأ

فوق الصخرة

السوداء

«ورست بنا السفينة في مرفأ خيل الينا أن ساكنوه من عالم آخر غير العالم الذي نعرفه . عيون تلمع كأنها الاقباس تحت جباه لوحتها الشمس الحامية ، فكانت أشبه بنحاس علاه الصدا . أي عالم جرتنا اليه هذه السفينة ؟»

ترنحت السفينة فوق سطح الماء ولطمها الهواء فتايلت ، ثم استدارت شامخة بأنفها السحوق نحو السماء ، وأرسلت من جوفها ذلك العويل الطويل كأنما هي تودع اليابسة قبل أن يكتسها اليم الواسع العميق ، وابتقيبت مخرج ميناء «دوفر» لتدلف منه إلى الخضم الأزرق ، المترامي تحت قدميها ، فتمخر فيه باسم الله مجريها .



ومضت تبتعد عن الشاطئ شيئاً بعد شيء ، والشاطئ يغيب عنها هوناً على هون ، حتى بدا كأنه ضباب كثيف لا تستبين فيه من شيء ، إلا قمم المطرحات من الابنية ورءوس المداخل ترسل دخانها الأسود كأنما هي مجموعة من البراكين النائرة ترسل من جوفها أفاعيل طبيعية فاضية ولقنا الماء ، واكتنفنا الغسق ، وأخذت آلات السفينة تهدير تهدير البراكين ، تجالده اليم واليم يجالدها ، تبج صدره بحيزوهم وتضربه بذنبها الملوي كأنها أفعى تسترق الخطوف في الظلام المنسدل ، فيرد كيدها بأعواج كالجبال .

وبدت نجوم الليل ترسل بصيصها إلى ذلك العالم الأصم الذي كنا نجنازه ، وأخذت
الشعري تبرق وتكظم ، كالغادة اللعوب ، وبدا الفرقدان : وإذا شئت :

فاسأل الفرقدين عن أحسًا من قبيل وآناس من بلاد

كم أقاما على زوال نهارٍ وأنارا لمدلج في سواد

وأكل الناس وشربوا ومرحوا وأخذ الكرى يلعب معاهد أحفانهم ، بعد أن أنهكهم
الرقص وفعل بهم المرح ، وحتى للمرح مناعبه ، هذا والسفينة لا تأخذها سنة ، والبحر يقظ
يغالبا وتغالبه . وكيف ينام وهو ذلك الشيء الذي استيقظ مع الخليقة ولم تغف له عين ،
ولا سكنت له حركة ، ولا اضطرب له قلب ، ولا اهتز له جنان . فكيف به يعبا بتلك الذرة
من الهشيم ؟ انها تداعبه ولا ريب . هي ألهية من ألهياته ، بل خطرة من خطراته . كلاً ،
بل حلم مغيب في جوف الزمن .

وما ذلك الصّفير الأجلش الذي يضرب السفينة بنبراته السريعة القوية ، فتميل ذات
اليمين وذات الشمال ؟ انه ولا شك عبارات الترحاب يرسلها البحر إلى الذين ينزلون
رحابه الواسعة .

وما ذلك الدوي البعيد الذي يكاد يفجر الصدور بعمقه ويخلع القلوب بروعته . تلك هي
العاصفة : هي أغنية الأزل الأول .

كنا في منتصف يناير والهواء زمهرير والماء زبد يتهادى فوق قمم من الموج أشبه
بالتلال المتلاحقة في صحراء شهباء ، سطع عليها قر مريض الضوء باهت اللون . ولم يبق على
ظهر السفينة انسان يحسي هذه الطبيعة الصاخبة الغضبي ، فقد لاذ كل منهم بمنجى منها ،
واسكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

واستدارت السفينة من حول شاطئ فرنسا الغربي ويمعت نحو الجنوب وكلما أمعنت فيه
انتعشت الأرواح ومرحت النفوس فقد استحال الهواء البارد المتلوج لسمات تخاطب القلب
والعقل ، وأخذت ذكاء بأبهتها المماوية ، تخميننا كل صباح بأشعتها الذهبية ، وتودعنا كل مساء
وهي منحدره في جوف اليمّ الواسع مشيرة إلينا بألسنة صفراء من نارها المتسعرة ، فكأنما
هي في تحيتها ووداعها صديق من فقد الصديق ، في مثل عالمنا الذي كنا نقطع رحابه ، فوق
ذات ألواح ودرر .

فلما كانت السفينة في نطاق دائرة الاستواء ، تغير لون الماء فاذا به أحمر كأنه الدم المهرق في رقعة لا يحدها البصر . وكان الى جانبي عالم أخذ طريقه الى الجزء الجنوبي من كرة الأرض ليجت طبائع بعض الأحياء في وهاد افريقية وغالبها الموحشة . فلما أبدت دهشتي من تلك الظاهرة قال لاتدهش فالماء هو الماء ، وأما اللون من حيوانات مجهرية تتكاثر ثم تتكاثر في بعض فصول السنة ، فتصبغ البحر بهذا اللون الأحمر الأرجواني . ثم انظر ألا ترى أشياء تثب من الماء ثم تغوص . إذا إقتربت مفيضة منها فسوف تطير . هذا هو الخطف ، وهو جنس من السمك الطيار يتخذ من زعانفه أجنحة ، فاذا أزعجها مزعج همت هاربة ، فتضرب بزعانفها الجانبية فترتفع فوق سطح الماء وتسير في الهواء مسافة ، فاذا أخذ منها الروح ، وجدت من صدر البحر مثوى وثيداً واسع الجنبات . ثم ها هي ذي الصخرة السوداء .

أشرفنا عليها وهي قائمة في وسط اليم كأنها الحلم الفزع في خيال مضطرب . وقد استطلعت قممها المشرفة على البحر وراحت تتطلع إلى سماء شملها الغيم الكثيف ، فكأنما هي امرأة مهجورة تناجي المماء بالأمها المرتسمة على صفحتها المربدة من ظلم الأيام .

ورست بنا السفينة في مرفأ خيّل إلينا أن ساكنيه من عالم آخر غير العالم الذي نعرفه ، عيون تلمع كأنها الأقباس تحت جباه لوحتمها الشمس الحامية فكانت أشبه بنحاس علاه الصدا . أي عالم جرتنا اليه هذه السفينة ؟ ولكن السفينة لا بد من أن تزود ، فألقت مراسيها على الصخرة السوداء ، يوماً وليلة .

وحملنا حب الاستطلاع على النزول إلى البر ، واخذنا نضرب في نواحي المدينة حتى ألقينا عصا النوى في مكان هو مجتمع الأدلاء ، فقال أحدهم : أدلكم على الكوخ الأثري ؟ قلنا وما هو ؟ قال كوخ فيه كتاب مخطوطه الحياة ، وسطور الحياة كلها مكتوبة على صفحة واحدة خطتها يد القدر . فسأله أحدنا أورقة تعني ؟ قال نعم .

ووقفنا أمام الكوخ الأثري فاذا به حظيرة بها جياذ لحامية تلك الصخرة السوداء . رأينا الجياذ . ولكن لم نر الكتاب ولا الصفحة التي خطتها يد القدر . قال لا تعجلوا ، فهنا في هذه الحجرة نزل ضيف جاء من وراء البحار ، وظل بهامنين ، فلما مات اتخذ الكوخ حظيرة للجياذ .

ولكن هذه الحجرة قد تركت مغلقة احتراماً لذكرى ذلك الضيف . وأنتم ترون كيف

غنى بها . فتلك الحشائش النابتة من خلال الجدران ، ومن بين الشقوق التي تتخلل الأرض ، دليل على أن أصحاب الأمر هنا لم يفتكوا حرمتها . وفي هذا القمطر ورقة مكتوبة هي طلبكم : وأخذنا ننظر في الورقة التي خطتها يد القدر .

« في تسعة الأيام الأخيرة من حياته ظل هاذياً وفي غيبوبة . كانت الحركة تؤلمه ، وحتى المس كان يؤذيه . وفي اليوم الخامس من مايو تلفظ ببضع كلمات غير مستبانه ، ولكن رفيقه « مونتولون » ظن أنه يقول « فرنسا — الجيش — رأس الجيش » .
« وما إن تحرك لسانه بهذه اللفاظ حتى وثب من فراشه نائراً وجذب معه « مونتولون » الذي حاول أن يثبته إلى الرشد ، فانظر حتماً على الأرض . كان ذلك آخر جهد بذلته إرادة لا ترد وقوة لا تقهر » .

« وبعد صراع ، استطاع مونتولون أن يرجعه إلى الفراش مستعيناً بزميله « أرشيمو » . وظلّ المريض في فراشه ساعداً حتى كانت الساعة السادسة من المساء ، فبذل آخر أنفامه . كانت عاصفة هوجاء ترسل بأهازيجها الصاخبة في خارج الكوخ ، الذي أخذ يهتز من شدتها كما لو كانت زلزالاً صارماً انتفضت منه الأرض . ها هي ذي العاصفة تقنلع شجرة الصفصاف التي كان يجلس إليها ذلك الخالد الثاني . وإذا كانت العاصفة تقنلع تلك الشجرة التي تقيأها الضيف الراحل ، كان « مرشان » ، أحد رجاله ، يسجيه بالعبادة التي كان يلتفح بها قاهر الجيوش في موقعة مارنجو » .

يا لك من صخرة سوداء ! أنت يا جزيرة القديسة هيلانة . ويا لك من رجل ! أنت يا ابن فرنسا ! أنت يا نابوليون !

قبره الآن في باريس ، ولله در « البكري » إذ يقول :

« وقعت بقبر نابوليون أمس ، أحدث النفس ، بما في ذلك الرمس ، فإذا سكون بعد صولة ، وقبر في جوفه دولة ، وصولجان كرتة الأرض ، أضحي مخراق لاعب ، وسرير كان عليه البسط والقبض ، أمسى ملتقى ناع وناعب . »

الكهرباء

وتشخيص الامراض

طرق ثابتة لا تكذبك ولا تضلك

إذا أخذت بضع نقط من دم حي ماء، ومزجتها بمحلول من كلوريد النحاس، ونشرت المزيج على شريحة من زجاج وتركتها تتبخّر، حصلت على البلورات. فإذا كان الدم مأخوذاً من حيوان صحيح، فإن البلورات تأخذ شكلاً خاصاً. وإذا كان مريضاً فبناء البلورات السوي يتكيف

كان طبيب الريف في الزمن الماضي يعتمد في استجلاء المرض على حوامسه الجملية غالباً، على سمعه وبصره وشمه ولمسه وذوقه. ولقد جرى في ذلك على منة اتبعت وسمج رسم. أما طبيب العصر الحديث فسلحه التشخيصي علان: الطبيعة والكيمياء.

أمضى دكتور «هرولد سكستون بار» من مدرسة الطب في جامعة «ييل»، سنين منصرفاً إلى دراسة الظاهرات الكهربائية في الجسم البشري، وانتهى به الأمر إلى تركيب آلة تقيس التغيرات الكهربائية في الجسم، حتى إذا ضوأت فلم تتجاوز خمساً على مليون من الفولت الكهربائي.

وبهذه الآلة استطاع أن يستشف ويسجل ظاهرة تكوّن البويضات في الأرانب والسنابر والنساء، وتكوين أفراس الدجاج والسمندل وهي في البيض، والفروق بين الفئران التي قدّر لها أن تصاب بنمو سرطاني والفئران التي سوف لا تصاب به البتة. فكل مرض من الأمراض دلالة الكهربائية الخاصة، حتى قبل وجود علامات ظاهرة تنم عنه.

وقد مضى الآن عشرون سنة منذ بدأ دكتور «إهرنفريد فيفر» العالم السويدي، يدرس بلورات الدم وعلاقتها بالمرض. فالنبلور كما هو معروف، عبارة عن ظاهرة تحصل عند ما تتجمع جزيئات مادة ما، على نسق خاص. فإذا انسقت أخذت اشكالاً هندسية يكون بعضها ظاهراً للعين المجردة.

فاذا أخذت بضع نقط من الدم من حي مَّسا ، ومزجتها بمحلول من كلوريد النحاس ، ونشرت المزيج على شريحة من زجاج وتركتها تتبخر ، حصلت على التبلور . فاذا كان الدم مأخوذاً من حيوان صحيح ، فان البلورات تأخذ شكلاً خاصاً . وإذا كان مريضاً فبناءً البلورات السوي يتكيف . فمثال من التنسيق البلوري يدل على فقر الدم ، وآخر على المرطان ، وثالث على السل ، وهكذا .

وكل مادة تتبلور في صورة محدودة بينة تم عن حقيقتها . وقد كشف دكتور « فيفر » عن أن هذه البلورات عالية الحساسية ، حتى ان إضافة نقطة من سائل غريب تحدث تحويراً عظيماً في شكلها . وبعد آلاف من التجارب سهل عليه أن يستنتج نتائج في خصائص المواد التي تحدث تلك التحويرات .

واشترك دكتور « بجوين » من جامعة الطب في « بوردو » مع دكتور « فيفر » في درس خصائص بلورات الامراض ، وكتب تقريراً عن النتائج إلى أكاديمي العلوم الطبية في فرنسا . ولقد وصل دكتور « بجوين » بهذه الطريقة إلى نتائج ذات بال . فن مجرد فحص بلورات الدم صحَّ تشخيصه في ٣٠ حالة من ٣١ حالة سرطانية ، وكانت الحالة الواحدة والثلاثون حالة سرطان مصحوب بزهرى ، واصطحاب المرضين أعطى مثلاً آخر من البلورات . ومن تسع حالات سل شخص دكتور بجوين ثمان حالات تشخيصاً تاماً . والحالة التاسعة كانت مصحوبة بالتهاب الخشاء — Mastoid — والتهاب مخائي ، فحورت البلورات وضلت الطبيب .

وطريقة دكتور « بجوين وفيفر » في بحث البلورات ودلالاتها على الامراض غير معروفة بدقة خارج فرنسا . بيد أنها طريقة ما فتئت في طور التجربة . فان امراضاً كثيرة ما تزال تحت الدرس والتبويب بهذه الطريقة . على أن المستقبل يدل على إمكان الاهتمام إلى نتائج فذة باهرة .

وتصوير انسان العين معناه درس حركاته وتفسير دلالاتها في مختلف الامراض . فان عدداً عظيماً من الأطباء قد أيقنوا بأن انسان العين يسلك سلوكاً خاصاً يختلف باختلاف الامراض التي تصيب الجسم ، وبخاصة الامراض التي تصيب الدماغ (المخ) والأعصاب . ولكن حركات انسان العين هي حركات سريعة يتعذر تتبعها . فاذا أريد تتبعها بالعين المجردة ، فمثل هذا الفحص يقود الى نتائج تتوقف صحتها في أكثر الامر على خصائص الفاحص الذاتية . ومنذ خمسة عشر عاماً عمل دكتور « أوتولونثال » من جامعة « بون » بألمانيا على

تدليل هذه الصعوبة . فصمم على نقل ارتكاسات انسان العين على رق مصور ، وبذلك يمكن الوصول الى نتائج لا تحتمل الشك . وقامت أمامه عقبة . فان تصوير انسان العين بتلك الطريقة يحتاج الى ضوء شديد وقت التصوير من غير أن ينقبض انسان العين والضوء واقع عليه . وبعد مشاق استطاع أن يملك جهازاً يستعمل فيه أشعة الضوء دون الأحمر التي تسجل على رقوق للتصوير الضوئي ، وهي أشعة لا تكشفها العين ، فلا يكون لها تأثير على انسانها .

ومن المعروف ان انسان العين يتكيف متغيراً بحسب الحالات الانفعالية . والانعكاسات التي تصيبه تتوقف على حال الأعصاب التي تحكم العضلات فنتفتح انسان العين أو تقبضه . فاذا لم تقم هذه الأعصاب بوظيفتها خير قيام نتيجة لكبر السن أو الامعان في شرب الخمر أو استعمال العقاقير أو وجود مرض عضوي كالزهري ، فان سلوك انسان العين في تلك الحالات وأمثالها يختلف عن سلوكه في الأفراد الأسوياء . ولما كانت أناسي العيون غاية في الحساسية وتعكس تأثيرات الامراض العصبية منذ بداياتها الاولى ، فان ذلك يساعد ولا شبهة على التشخيص وسرعة العلاج الناجع الذي يكون فيه لعنصر الزمن أثر هام جداً .

يوضع المريض تحت تأثير منبهات متفرقة — كاطلاق قذيفة بندقية أو مفاجأته بشعاع قوي لا يتوقعه — وتؤخذ صورة لارتكاسات انسان عينه . وتؤخذ الرقوق المسجلة من الصورة وتستظهر . وإنك لتعجب إذ ترى أن هذه المسجلات تفصح لك عن حالة أعصاب المريض بمثل الجلاء الذي تظهرك به الأشعة السينية على أعضائه الداخلة .

وتصوير انسان العين يمكن الأطباء من تشخيص الاضطرابات العصبية وتقييم خطورتها فيرسمون بذلك خطة العلاج والشفاء . ولكن لوحظ أن المريض لا يكون قد شفي تماماً إذا حادت حركات انسان عينه إلى حالتها السوية . ولهذا تابع دكتور « لوفنسال » بحوثه في سويسرا ، مقتنعاً بأن تصوير انسان العين سيكون له أثر بارز في القضاء على الأمراض العقلية إذا وضع لوح من الزجاج يحتوي على أكسيد النيكل أمام شعاع فوق بنفسجي ، حدث ضوء إلى السواد . فاذا بحثت أشياء ماتحت ذلك الضوء الأسود السحري ، فانها تعرب عن خصائص لا يفصح عنها الضوء العادي .

ولقد طرأ الدكتور « أوتو رتش » من جامعة لينج فكرة أخذ عينات من الدم البشري يحفظها في أنابيب حتى تترسب كريات الدم الحمر في قاعها ، ثم يفحص عن المصل الرائق الأصفر الذي يكون في عنق تلك الانابيب تحت ذلك الضوء الأسود . فلما عرض المصل إلى ذلك الضوء الأسود المنبعث من الشعاع فوق البنفسجي ، ظهرت فيه ألوان مختلفة ، متدرجة في ظلال من

الاصفر المخضر الى الاخضر الزيتوني إلى الأزرق الزرجي أو الأزرق المبيض أو اللون الأرجواني ، وبعضها شفاف ، والبعض الآخر بمثل كثافة اللبن .

كانت المشكلة الثانية هي : كيف تقرأ بدقة تلك الرسائل التي يسجلها دستور تلك الألوان المختلفة المعجية ؟ حُلَّ كل مصطلح على حدة ونقي من كل ما يحتمل أن يكون فيه من القصصيات (bacteria) الشفافة بتعقيمه تعقياً تاماً . وهنا حلت العضلة ، عند ما ظهر للباحثين الفرق الجلي بين المصل المستخلص من دم أشخاص أصحاء والمصل المستخلص من أشخاص مرضى . أما الانبثاقات اللونية التي ظهرت عن مصل أبدان صحيحة ، فكان في كل حالة من الحالات عبارة عن لون خفيف باهت أو أخضر زيتوني إلى الكمدة . في حين أن مصل الأبدان المرضى أعطى ضوءاً ظاهر اللون ، فكان ذلك برهان قوي على أن للمرض تغييراً في الدم يظهر تحت فعل الأشعة فوق البنفسجية . فلما أظهرت البحوث التالية أن مصل ذوي السل له لون خاص ، ومصل ذوي المرطان لون آخر ، وذوو تصلب الشرايين لون ثالث ، استنتج أن الأمراض المختلفة يمكن تعيينها من طريق الألوان التي تعطيها الامصال المتفرقة ، إذا عولجت بالضوء الأسود .

وعلى الرغم من أن هناك خفايا أخرى ينبغي الوصول إليها ، وأن الأمراض لم تبوَّب كلها بحسب الألوان المنبعثة عن أمصال الدم ، فإن تحسيناً بيناً في دقة الجهاز المستعمل في ذلك البحث ، قد أذن الأطباء على أن يعرفوا أن الانبثاق اللوني في بعض الأمراض يتضمن خطوطاً تكون مفقودة في غيرها .

وتقدم دكتور « هاجمان » من جامعة كولوني خطوة أخرى في تحسين هذه الوسيلة . فهناك قصصيات (bacteria) خاصة وجراثيم أخرى صغيرة جهد الصغر ، حتى لا تكشفها الجاهل العادية . وهذه تدعى المترشحات (Viruses) وتحدث أمراضاً مثل مرض البغلاء والحصبة والحمى الصفراء . فإذا نظر في هذه المترشحات من خلال الضوء الأسود ، فإنها تعطي ألواناً شفافة . وهذا البحث ما زال في بداياته ، وقد يحدث في المستقبل أن يمكن الكشف عن هذه العضويات من طريق تلك الألوان النوعية ، التي تنعكس منها تحت تأثير الضوء الأسود .

قمة الدنيا



إلهامك الروحي قد يرفعك لحظات اليها

« سوف تقاسي آلاماً وتلقى كروباً عقلية . ستشعر بأنك منكور من كل إنسان . ستخاف . سيخيل اليك انه لم يبق لك من شيء في هذه الحياة . ولكن كل هذا الحزن سوف يمضي . ستعطي أكثر مما أملت أو تصورت . ستكون رجلاً عظيماً ، في يديك قوة ، ويخف بك الغنى والشرف . لا تخف . هذا ما سطر »

ألم تشعر يوماً بأنك تتوقع حدوث شيء لا تعلم ما هو ولا ما هي علاقتك به ؟ ألم تفعل شيئاً مجبراً ولا تعلم لماذا فعلته ، فرداً عنك طادية أو وجهك توجيهاً ترضاه ؟ نعم قد اتفق مثل ذلك للكثيرين منا ، واتفق أكثر منه للقلائل من الذين أحاطت بهم ظروف بلغت من اليأس حد التسليم بالقدر المقدور . ولا شك عندي في أن لتلك المنزلة التي قال بها بعض المتصوفين وسموها حالة الكشف ، حقيقة ترجع اليها في الطبيعة الانسانية . وليست هي من الأشياء التي يبحثها العلم بطرقه المعروفة ، وهي طرق تعتمد أول شيء على الحواس ، وإنما هي أشياء ترجع إلى ما سماه الفلاسفة « عالم المجهول » . فالعلم لم يصل إلى كل شيء ، ولا يدعي القدرة على الوصول إلى كل شيء . ولكن « عالم المجهول » درجات تبدأ من حقيقة علمية بسيطة أو قانون كيميائي أو طبيعي يكون تحت يدنا ويغيب عنا كشفه ، إلى الظواهر الفذة التي لا يعلمها العلم ولا يحللها العقل ، إلا بطريق واحد ، طريق الاعتراف بالعجز إزاءها هذه حادثة واقعية زويها وسنذكر مصدرها وشخصيتها ، ولا يزالان معنا وفي عصرنا . فطلب لها تعليلاً ممن يستطيع أن يعلمها ، على أن لا ترد إلى « المجهول » ، الذي هو في الواقع اعتراف بالعجز عن التعليل .

كانا في الصحراء . في جوف الصحراء الواسعة المترامية الأطراف . سيد وسيدة ، كلاماً تلقى العلم في أرقى الجامعات ، وكلاهما يعرف أن الصحراء غول لا صديق له . نقد الماء

وعلف الدواب ، ومعهم رجال من الأدلاء والحراس ، والعمران قصي بعيد ، والاتجاه في أي متجه من غير علم به ، معناه الموت المحقق في جوف الرمال . وكانا يبحثان عن واحة مجهولة قطعا اليها طريقاً غير مسلوک . نزل بهما الهم وأخذ منهما ومن رجالهما القنوط ، ، فأنيخت الابل وحملت القافلة في ذلك القفر لا مؤنس لها إلا الاعتقاد بأن الارادة المرمدية نافذة فيهم لا محالة : فإما طريق إلى الدنيا ، وإما طريق إلى الآخرة .

حلم السيد حلماً ، وهو بعد ممن لم يعكفوا على التصوف يوماً واحداً من أيام حياتهم . حلم بامرأة بيضاء أو إنها تلبس البياض ، لم يستطع أن يصفها ، ولكنها تنبأت بما سوف يقع ، وتكلمت ولكن بلغة الرموز . ولكن هذا الحلم قد اتخذ أول الأمر موضع تسلية وحل سخرية . ولكن السيد أكد أن ما رأى ليس حلماً . لقد كان أكثر من حلم . إنها رؤيا تكاد تكون في يقظة غير تامة ، في صحوة عقل مضطرب من هول الموقف .

وقفت تلك المرأة التي تراءت له إلى جانبه في الصحراء بمقربة من محط الرحال . وكان يرى خيالها على الأرض في ضوء النجوم ، ورأى آثار قدميها في الرمال ، قالت له — « لا تزعج ، سوف تصل ولكن عليك أن تقتحم ثلاثة حوائط قبل أن تصل . وقبيل النهاية ستضطر إلى تغيير طريق ميرك لمتقي بذلك أجساماً ميتة »

في الصباح جلس السيد والسيدة يناقشان في هذه الرؤيا . ولكنهما لم يشكيا هذه المرة في حقيقة الامر ، وعلا الحوائط بعقبات سوف تصادفهما ، عقبات انسانية أو طبيعية ، سوف يجتازانها ، وعلا الأجسام الميتة بموقعة تحصل .

في خلال الأسابيع التي تلت تلك الرؤيا ، أحيط بهم ثلاث مرات . أحاط بهم بدو معادون . وسجنوا في الخيام هما ورجالهما ، والبدو من حولهم يناقشون في قتلهم ، وطريقة القتل . وظلوا على ذلك حتى أدركهم من أنقذهم .

فلما كان آخر يوم في رحلتهم بين الكشبان المتموجة ، اضطروا إلى الدوران حول واد عميق فيه جثث أموات لصقت عضلاتهم الصفرة بعظامهم . جثث آدميين ودواب . هذه قافلة قتلها العطش . رأى السيد بعد ذلك رؤيا ثانية . ففي جوف تلك الصحراء المجردة السماء التي لم تخترقها قافلة من قبل ، رأى تلك المرأة في ثوب أبيض مقبله نحوه من خلال الرمال الواسعة : وقالت له : « خذ السلسلة التي تعلقها في عنقك وتعال معي إلى قمة هذا الكتيب . ثم أدفنها هنالك . وفي الصباح ، إذا حضرت لتأخذها ، سوف ترى آثار قدميك وقدي معاً . وبذلك تعرف أنك لم تكن في حلم » .

فعل السيد كما أمر ، فلما انحدرنا من فوق الكثيب قالت له المرأة : « سوف تقاسي آلاماً وتلقى كرباً عقلية . ستشعر بأنك منكور من كل إنسان . مستخان . ميخيل اليك إنه لم يبق لك من شيء في هذه الحياة . ولكن كل هذا الحزن ، سوف يمضي . ستعطي أكثر مما أملت أو تصورت . ستكون رجلاً عظيماً ، في يديك قوة ، ويحف بك الغنى والشرف . لا تخف . هذا ما سطر » .

فسألها السيد : وما بال السيدة التي معي ؟ ماذا سيحل بها ؟

وفي اليوم التالي قص السيد على رفيقته كيف أن الصوت الذي كان يخاطبه قد تلغم وارتمك ، فأصبح أقرب إلى البشرية ، وتقوّه بكلمات تخللها توقف وتفكير : هذه معانيها — « لا أعرف شيئاً عنها . إنها ليست من ملتنا . ولا أعرف لماذا ولكنها سوف تنجو في كل الظروف . هذا محقق . سيحيط بها خطر عظيم ، ولكن لا يصيبها شيء . سيحل بها حزن وبأس ، ولكنها ستتنجو دائماً . ليس في يدها دفع شيء . ليس ذلك في طوق ارادها . ستسلك طرقاً عجيبة ، قد تؤدي إلى الموت — ولكن ليس من نصيبها أن تموت في ذلك . هذا ما كتب . سوف تنجو » .

عند ما ظهر الفجر الكاذب خيطاً أبيض الالهاب باهت اللون فوبق الأفق ، مبشراً باقتراب الشمس من البروغ على رمال الصحراء المترامية ، اصطعب السيد رفيقته ، وأراها آثار أقدامه ذاهبة إلى أعلا الكثيب ، ثم هابطة منه ، وإلى جانبها آثار ظاهرة جليلة متجانسة الخطو . كانت آثار قدمين عاريتين ، ضغطنا على الرمل ضغطاً خفيفاً ليناً ، والنفحات من ورائها تسفي عليها الرمال الناعمة .

نظرا إلى هذه الآثار في صمت عميق . وفي صمت أبلغ احتفرا السلسلة من حيث قال السيد . أما آثار القدمين العاريتين فانهدرت نحو الصحراء العريضة المغيبة الاسرار . هنالك كانا على بُعد بضعة مئات من الأميال عن كل مكان مأهول .

أما السيد فهو أحمد محمد حسنين باشا . وأما السيدة فالمؤلفة الجواله روزيتا فوربس . وأما الرواية ففي كتابها Gypsy of the Sun — في الصفحات ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ طبعة Cassel .

ألا يحق لنا أن نعتقد ان الالهام الروحي قد يرفع الانسان لحظات يكون فيها فوق قمة الدنيا فيغزو العالم المجهول ، من غير أن يدرك كيف غزاه ؟

عرف العرب امير كة

قبل أن يعرفها أبناء الغرب^(١)

كان العرب منذ أقدم الأزمنة ، وقبل المسيح بكثير ، يختلفون الى جزر واقعة في جنوب غربي بريطانيا العظمى ، تلكم الجزر التي كان يسميها اليونانيون يومئذ (جزر القصدير) ، وبلسانهم Kasseterides ومنه اسم القلعي عندنا أي القصدير المعروف باسم منجمه .
وذهب أبناء قصطان الى تلكم الربوع النائية يدل على أمور جمة :

منها : انهم كانوا يتقنون الملاحة إتقاناً عجيباً ، بدليل ما ذهبوا إليه من البلدان الشاسعة ومنها : أنهم كانوا يبرعون في بناء السفن ، باحكام عظيم ، لتمتكن من مصارعة أهوال الغار والمحيطات ، ولكي لا تتصدع ولا تتفسخ ، ومن ثم لا تغرق .

ومنها : انهم كانوا بارعين في الهندسة ، حتى إنهم تمكنوا من نشر الجواري المنفشات نشرأ متساوي الجوانب والأحزاء والاعزاء ، حتى لا تمزقها اللجج المتلاطمة ولا يزيد فيها جزء على جزء ، فيثقل جانب ويخف آخر ، فيمتنع التوازن والتساوي فتغطب تلكم المواخر في اليم .

فكان هؤلاء السلف الأبطال ، الانجاب ، الانجاد ، يذهبون الى تلكم الربوع الأقاصي ، كأن قلوبهم قدت من جلود ، وانزعجت أفئدتهم من الأعبال والصوان . فكانوا اذا بلغوا تلكم الأصقاع ، يستخرجون منها القصدير أي القصلي الذي نسميه نحن « القلاي » في هذا العهد ، ثم ينقلونه إلى ديارهم العامرة على تلكم المواخر ، فيبيعونه بأثمان باهظة ، لأنهم كانوا يتخذون منه ما يقوي الترسنة .

هذا وتجارة العرب ، معروفة ومشهورة منذ القدم والأزمنة الواغلة في الماضي ، وبيع إخوة يوسف شقيقهم لبني إسماعيل أشهر من أن يذكر ، وذلك قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة

(١) خطبة القاها الأب انستاس ماري الكرملي في قاعة فيصل الثاني في بغداد في ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤

وقد تعلم بعض الناس من العرب ، استخراج القصدير من تلك الجزر فنأثروهم في صناعتهم وتجارتهم . فكان فيهم الفنيقيون والقرطاجنيون . والرومان ، واليونان ، وغيرهم . ذكر كل ذلك هيرودوتس أبو التاريخ في ٣ : ١١٥ ، واسترابون في الباب ٢ في الفصل ١١

أمّا ما اسم تلك الجزر في عهدنا هذا فيظن الخذاق جميعهم انها الممجة Iles Sorlingues وبالا انكليزية Scilly islands وهي واقعة في خليج المانش على ساحل كورنوية كورنويل ، Cornwall وهذا دليل على ان صداقتنا للانكليز من أعرق جميع الصداقات .

بسطة لديكم الدليل الاول ، نقلاً عن هيرودوتس أبي التاريخ ، المتوفى في المائة الخامسة قبل الميلاد ، وعن استرابون ، المتوفى في الايام الاخيرة ، من عهد طيباريوس قيصر ، أي في نأنة النصرانية . والآن أذكر لكم الدليل الثاني ، وهو : يرى المفكرون البصراء من أهل البحث في هذا العصر ، أن أبناء العروبة ، عرفوا التيار المشهور في هذا العهد بالاسم الانكليزي Gul Stream أي تيار الخليج ، وهو تيار عظيم يسف في المحيط الاطلنطي ، الذي يسميه ابن خلدون : (المحيط اللباني) وينشأ من خليج المكسيك ، ماراً بقناة بهاما ، ثم يلاعب سواحل اميركة الجنوبية ، ويسايرها إلى الدرجة ٤٠° من العرض الشمالي ، ثم ينحدر إلى جنوب الجنوب الشرقي .

ويذهب أمير موناكو البحار الشهير ، والبحانة الخطير ، إلى أن سواحل أوربة ، تندفق على وجهها بسط من المياه هي غير مياه تيار الخليج ، اللهم إلا القليل النزر منها الذي لا يلتفت اليه . هذا وتبقى مجاري هذا التيار دافئة . فتكسر شيئاً من برد إرلندة ، لأن تلك المياه تبلغها ، كما تصل إلى انكلترة ونروج .

وهذا التيار نفسه يفيض على بحار أوربة ، كما يفيض عليها أيضاً تيارات رنل Rennell وخليج غسكونية ، ويستدل على هذا التيار بحرارة مياهه ، إذ قد تبلغ ٣٠° درجة مئوية فوق الصفر ، في أول اندفاعها . ومن علامته أيضاً لون مياهه الزرق ، وملوحتها البليغة — وأول من عرف أمور هذا التيار بنص دي لاون Ponce de Laon في المائة الـ ١٦ ، ثم درسها حاق الدرس موري Maury في زماننا هذا ، ثم أمير موناكو البحار البحانة الذائع الصيت .

ومسبق العرب سائر الأمم إلى معرفة هذا التيار وخواصه ، وإلى حر كته من المكسيك إلى أرنلندة ، ومن هذه إلى تلك ، فكانوا يركبونه من موضع إلى موطن ، بحيث كانوا يدهشون سكان جزر المانش ، أي جزر القصدير ، وأهل جزيرة أرنلندة . فكانوا إذا

ظعنوا الى أنحاء المكسيك ، مكث بعضهم فيها ، وعاد القليلون منهم إلى بلادهم . راكبين من ذلك التيار المبارك ، مسبحين ربهم ، مباركين مسددتهم .

ونعرف أنهم كانوا يقيمون في الديار التي عرفت بعد ذلك بالمكسيك ، من أسماء الحيوانات التي سموها بها ، وهي أسام تعرف بها الى اليوم ، لكن لا يفقه أهلها معانيها ، ولا علماء الغرب الذين اتخذوها هم أيضاً محافظين عليها محافظتهم على حياتهم ، فقد أعيت لغويهم على اختلاف قومياتهم ، حتى المعاصرين من أجلة لغويهم ، فاذا جاءوا إلى ذكر أصول تلك الحروف ، قالوا : « هكذا في لغة أهل تلك الارزاء » ولا يذهبون الى أبعد من هذا النقل الضعيف ، الذي لا يقنع صغيرهم فضلاً عن كبيرهم .

ولو كانوا واقفين على تاريخ نشأة بني يعرب وزوطهم في تلك الربوع ، بل ووصولهم إلى أقصى الخافقين ، وإطلاعهم على أسرار لغتهم البديعة المبينة ، لاهتدوا إلى حل العقد ، وحل المعض ، ولشكروا السلف الصالح ، على ما اوتوا من الحكمة ، وكشف الأسرار ، ووصف الغوامض وصفاً دقيقاً ، بتلك الحروف الخفيفة النقل .

هذا ، والألفاظ العلمية ، الموضوعية في علم الحيوان ، والطيور ، والسمك ، والحشرات ، جمة لا تحصى . على أن ما لا يدرك كله ، لا يترك جله . وأنا أتلو على أسماعكم شيئاً نذراً من هذا القبيل ، لكي لا يرميني بعض الحاضرين ، بالتعصب الأعمى ، إذ كثيراً ما سمعت من بعض الذين يدرسون لغة الأجانب ، ولا يعرفون قليلاً من لغة الأعراب : « أنك يا هذا أعمى العينين ، بل أنت أكمه ، لم تر في حياتك النور البتة ، ولا يمكنك أن تراه ، فكيف نجيب لنا شيئاً لم تره ، ولم تعرفه . »

فكان هذا الكلام يضحكني ولا يززعني ، بل يثبتني في رأيي ومعتقدتي .

وأما بعض هذه الألفاظ فنمنا : التمساح المسمى عندهم Alligator فانهم لم يعرفوا من أي لغة هي ، إنما يقولون إنها بلسان البلاد التي يعيش فيها . ولم يزدوا على هذا القدر . أما أنها من لغتنا المضربة ، فما لا شك فيه ، لوجود الهمزة والكوفية في رأسها ، أي الألف واللام ، وهي العمرة التي يمتاز بها القحطاني دون غيره . فهي (القاطور) المشتقة من قطره أي صرعه . وذلك أن هذا التمساح يصرع عدوه صرعاً شديداً ، يورده حياض الموت ! فهل من منكر معاند بعد هذا ؟

ومن أسمائه قيمان Caiman وتكتب أيضاً Cayman وأصلها قرمان ، من قرم الشيء بأسنانه أي قطعه ، وهذا التمساح حاد الأسنان ، يقطع عدوه نصفين ، إذا ما تناوله بها .

لكن كيف قلبت الراء ياء؟ فهذا ما يفهمنا اياه الجاحظ هذا اللغوي العظيم . فقد قال في كتابه البيان والتبيين (١٧:١) من الطبعة الاولى المصرية : «منهم (أي من العرب) من إذا أراد أن يقول عمرو . قال : ضمي ، فيجعل الراء ياء » ومن الأسف أن الجاحظ لم يذكر لنا اسم القبيلة التي كانت تلفظ هذا اللفظ أو قلب الراء ياء ، لعلمنا اسم القبيلة التي نزلت في تلك الأرجاء النائية .

ولو اتسع لي الوقت — والوقت أضيق من سم الخياط ، — لذكرت لكم مئات من الألفاظ ، إلا أنني أحاول مسابقة الزمن ، لئلا تفوتني الفرصة التي أريد أن أبين فيها : أن الارلنديين لما رأوا العرب يأتون إلى ديارهم ، ثم يركبون متن تيار الخليج ، عرفوا أن في أقصى البحر الاتلانتي ، بلاداً مأهولة ، وسكاناً متوحشين ، لا يعرفون من دين النصرانية شيئاً يذكر . وأول من افقه لهذا الأمر ، راهب اسمه Brendan برندان ، السائح البحار ، المولود في فنت Fent من كونية كيري Kerry سنة ٤٨٣ م . وهو من أصل شريف ، يرتقي إلى ملك ايرلندة ، الذي رقي الكرسي في المائة الأولى للمسيح . وقد أولع منذ حداثة بركوب الأخطار ، وبما هناك من غرائب الأقطار ، فعزم على ارتياد المحيط الاتلانتي ، ومشاهدة ما وراءه من البر العظيم المجهول .

ففي عام ٥٤٥ م ، تهيأ لتحقيق ما يختلج في صدره من الأمانى ، مع أربعة عشر راهباً ، من مقتضي الأحوال ، فابتعوا مركباً كبيراً ليستكشفوا ما هنالك ، ثم أخذوا معهم ، زاداً ، وماءً ، وأدوات شتى ، لهذه الغاية — وفي مدة ١٢ يوماً سائرهم الريح ، ثم هدأت ، وبقوا شهراً واحداً يقذفون بالمقاذيف ، وكانت الأرياح تسلمهم مرة ، وتخالقهم مرة أخرى ، وفي الآخر ، تراءت لهم أرض كانت جزيرة ، والمظنون أنها كانت إسكلندة التي معناها جزيرة الجمد ، لأنها كانت في شمالي ما رأوه . فرسوا عندها ، ومكثوا فيها ثلاثة أيام .

كان كلنبس يعرف هذه الرحلة

وفي السبعة الأعوام الأخيرة ، بحثوا عن الأرض المطلوبة المنشودة ، فسافروا إلى أسفل الهند الجنوبية من المحيط الاتلانتي ، وزاروا في جملة ما زاروا من الجزائر ، تلك المسماة بالخالدات عند العرب . أي الكناري عند الغربيين ، ثم كلاً من تناريف Teneriffe و هيارو Hiero ولا يزال يروي أهالي تلك الأرجاء مرور البحارة الارلندية ، بتلك المواقن . وفي تناريف ترى اليوم هيكلاً على اسم ذلك القديس أي برندان . وأما جزيرة هيارو ، فاسمها بقي فيها محفوظاً في شجرة غار ضخمة قديمة من ذلك العهد العهد إلى يومنا .

وفي سنة ٥٥٢ ، نزل برندان ورفقاؤه على ساحل أميركة . ويرى في مخطوط عتيق ، وصف وجيز لما رأوه في تلك الديار . وللهنر العظيم الذي يجري فيها ، ويظن إنه الميسيسي . ولما عاد برندان من رحلته إلى وطنه ، حفظت روايتها في كتاب لاتيني العبارة ، وكان دونها أحد معاصريه ، ونسخ منها عدة نسخ . وأُنقذت إلى أرجاء أوربة المختلفة ، وكان بشها الرسلون الارلنديون . — ويرى منها نسخة في خزانة الفاتيكان إلى يومنا هذا . وقد قال أحد الثقات من جهاذة النعقة : إنها كتبت في المائة التاسعة . — وفي الخزافة الوطنية في باريس ، إحدى عشرة نسخة خطية ، تروي رحلة برندان المذكور .

وبعد سفرة برندان ، ترى عدة أدلة على أن رهباناً ارلنديين آخرين ، ركبوا المحيط الاثلاثي بعد ذلك ، وكانوا على سفن ضعيفة ، ليقوموا بواجبات الرسلين في العالم الحديث وذلك في المائة الثامنة . وكانت تمتد أعمالهم من ساحل جون شيسايبك في أسفله ، إلى أدنى كارولينة وفلوريدا . وقد عرف تلك الأرجاء كلها عدد وافر من الارلنديين .

ولا جرم ، أن كلنيس كان واقعاً أتم الوقوف على خبر رحلة برندان ، فتمكن من أن يقنع الملك فردينند ، والملكة ايزابلا ، بأن يوافقا على هذه الرحلة . للبحث عن العالم الجديد فتنما في الآخر ، وكل ذلك بفضل ما اطلع عليه من الرحلة المذكورة في تلك المخطوطات النفيسة

الخاتمة

فهذا ، يا سادتي الفضلاء ، مجمل ما يقال في هذا الموضوع ، وأما التفاصيل فطويلة مملة . لا تزيدكم فائدة أعظم . ويلخص كلامي هذا كما يأتي :

إن أبناء يعرب القدامى ، ولا سيما أولئك الذين كانوا يجاورون ثغور البحار ، يركبون السفن التي كانوا ينشرونها بأيديهم ، فيجوبون بها المحيطات ، فوصلوا في أول أسفارهم إلى جزر القصدير ، وهي في بحر المانش ، وعددها (١٤٥) خريصاً ، وبعد ذلك عرفوا تيار الخليج ، وهو المسمى عند الانكليز Gulf Stream ، فاتخذوه ناقلاً لهم ، إلى الربوع التي دعيت بعد ذلك بالمكسيك ، ومنها انبنوا إلى سائر مدن أميركة ، من شمالية وجنوبية . فالعرب وسائر الاقوام التي حلت العالم الجديد عرفوا المكسيك ، قبل أن يعرفوا سائر الديار الغربية من تلك الأرجاء . ولذا نرى فيها من الاسماء العربية العائدة إلى الحيوان والطيور ، أكثر مما في سائر الانحاء الحديثة المعروفة ، بحيث لا يمكن لأحد أن ينكرها .

وقد اعتمدت في كل ما قررت هنا على مصنفات الاغراب أنفسهم ، إلا ما وجدته نبهاً بنفسي . وقع ذلك كله قبل المسيح . وبعده ، لاسيما بعد اكتشاف تلك المنتهيات . هذا

وانا أتحدث كل أديب ينكر عليّ هذه الحقائق ، أن يفندھا تفنيداً علمياً ، إما على طريق التاريخ ، وإما على سبيل اللغة ، وإما على سبيل النقل عن السلف ، بشرط أن يكون هذا التفنيد طلباً للحقيقة ، لا للمهاجكة والمعارضة ، والمعاندة ، والمباهاة والأدواء الفارغ . وأن يكون بأدلة صادقة مقنعة ، خالية من كل تمويه وتشويه .

نعم ، إن الذين ينكرون هذه الحقائق هم الأجانب الذين لا يفهمون أن يسمعوها كل مدح بحق العرب ، أو أولئك المتعربون ، أو المتفرنجون ، الشعبوية الذين يغمطون حق كل ناطق بالضاد ، وإن يأن فضله وعلمه . فمؤلاء جميعهم من القوم الخاسرين الخاسئين ، ولا يلتفت إلى مزاعمهم ، فالاعتماد على الشباب المنور ، الذين عليهم المستقبل وعسام أن يزدادوا عدداً كلما زدنا تقدماً في الأيام . وعليه تعالى تحقيق الأحلام .

مراجعنا

- 1 — Martyrologium Romanum
- 2 — M. — N. Bouillet. — Dic. universel d'His. et de Geog. art. Cassiterides.
- 3 — Nouveau Larousse illustré. T. II Art. Brendan.
- 4 — Nelson's Encyclopaedia Vol. IV art. Brendan (St.)
- 5 — Encyclopaedia Britannica-art. Brendan
- 6 — C. Wahlund : Die alfrezosishe Prosa Übersetzung von Brendans Meerfahrt (Upsala, 1900)
- 7 — F. Novati : La navigatio Sancti Brendani in intico Veneziano, (Bergamo, 1892)
- 8 — G. Schirmer. — Zur Brendanus—Legende, etc. (Leipzig, 1888)
- 9 — F. Michel : Les Voyages Merveilleux de St. Brendan, etc. (Paris 1872)
- (10) — R. F. Moran : Acta Sancti Brendani, Original Latin Documents connected with the Life of Saint Brendan. (Dublin 1872)
- 11 — Tit - Bits No. 3192 Friday, 7th. April 1944.
- 12 — Pierre Larousse — Grand Dictionnaire Universel du XIX Siecle. — Paris

١٣ — المقتطف ١٠٥ : ٣١٧ وما يليها

١٤ — مجلة الجمع العلمي العربي — ١٩ : ٣١٥ وما يليها الى غيرها من الكتب والمجلات والمحف.

وحدة الوجود

أمذهب أم فكرة؟



« ان وحدة الوجود ليست إلا نزعة واتجاهاً عقلياً
بسيطاً أريد به التخلص من مشكلة كبرى ، فأدى القول
به الى مشكلة اكبر »

كثر التحدث في العهد الأخير في وحدة الوجود ، وتقدم للكلام في هذا الموضوع
طائفة من جلة أدبائنا ، فنفرقوا فيه شيعاً ، ومضوا في بحنه أحزاباً وفرقاً ، على أن كل ذلك
أما يدل دلالة واضحة على أننا في صحوة من الفكر ، ويقظة في متابعة الدرس ، نحمد للذين
أقاموا الدليل عليها ببحوثهم ، أنهم كانوا تراجمة أمناء على البحث والتقصي .
ولا شك عندي في أن هذه الظاهرة لها دلالة أخرى لا تقل من يقظة الفكر شأناً ومكانة .
تلك ناحية أن الفكر المصري قد أخذ يستعمق في الدراسات الفلسفية ، وأنه ألف أن يظل
بعيداً عن التسامي إلى آفاق الفكر البعيدة .

غير أن تلك البحوث التي مضى فيها هؤلاء الأساتذة الأجلاء قد نقصتها ناحية ذات
بال من نواحي التأمل . فقد مضى بعضهم في البحث على أن وحدة الوجود مذهب ، فقال في
بحوثه ان مذهب وحدة الوجود كذا ، وان مذهب وحدة الوجود كبت ، من غير أن يقيم
الدليل على أنه مذهب صحيح له شعابه المترامية ومفازاته القصية وله حقائقه وغيبياته ، شأن
جميع المذاهب الكبرى في الفلسفة . فليس لوحدة الوجود من الأصول والفروع مثلاً ،
ما للمذهب المادية أو الروحانية أو مذهب الكلام عند النصارى وعند المسلمين ، أو مذهب
الألوهية عند المتأملين ، أو مذهب الشكية عند اصحاب الشك ، أو مذهب اللاأدرية عند
اللاأدرين أو مذهب اللا دينية عند من يثبتون الله وينفون الأديان ، أو مذهب الجبرية أو
القدرية أو المشبهة أو المعطلة . فجاء هذه مذاهب تقوم على فكرة هي الأساس ، تتشعب
من حولها فروع وشعب من الفكر لا نهاية لها . فهل في القول بوحدة الوجود شيء من
ذلك ؟ لم يتكلم أحد من الباسحين في هذا . وكان من الواجب أن يقوم البحث بداءة ذي بدء
على أساس ثابت يكون بمثابة البورة تنبعث منها أشعة تترامى في شعاب الفكر .

إن كلمة Pantheism — من حيث التخريج اللغوي معناها القول بأن الكل هو الله

أو أن الله هو الكل . ولما كان الفكر قد يتراوح بين القول بأن الكل لله أو أن الله للكل ، فقد حتم أن يكون لهذا القول وجهان :

فإذا بدأت من حيث انتهى المعتقد الديني أو الايمان الفلسفي بالله ، وأنه حقيقة لانهاية سرمدية ، إذن فالعالم النهائي الموقوت يندمج في الله ، وهنا تلبس وحدة الوجود ثوب اللاكونية — Acosmism — أي ان المادة ليست غير خيال إلى جانب الله الذي هو الحقيقة الثابتة . أما إذا بدأت من حيث انتهى المعتقد العلمي أو الصورة الشعرية للمادة باعتبارها وحدة ، فإن الله يندمج في المادة وتلبس وحدة الوجود ثوب « الوحدة الكونية » — Pancosmism . والأولى نظرة إلهية ، والثانية نظرة معطلة (تنكر وجود الله) .

والتفسير المنطقي البسيط لتينك الترتعين هو أنك إذا قلت بأن « الكل لله » أثبت وجود الله وان لا شيء خارج عنه ، وعطلت وجود المادة . وإذا قلت بأن « الله للكل » أثبت وجود المادة وان لا شيء خارج عنها ، وعطلت وجود الله . هذا على أن لا نفعل أبداً عن أن لكل من الوجهتين معضلات عقلية ممضة لا تنتهي من إحداها إلا لتقع في أعزل منها . وعلى هذه الوتيرة ظل الفكر الانساني ازاء هذه القولة منذ أقدم العصور حتى الآن ولم يخط خطوة واحدة الى الامام .

وعندي أن القول بوحدة الوجود ليس مذهباً فلسفياً ولا هو فكرة ترتد إلى أساس أولي في العقل . ومعنى انها ليست مذهباً أنها تدور وتتركز حول شيء واحد هو القول بأن الله والمادة واحد لا يتجزأ ، من غير أن يرسل هذا القول ضوءاً على أية ناحية أخرى من نواحي المعرفة . فلا شعاب له ولا فكرات ولا تعمق في استبطان حقائق الوجود . ومعنى إنه ليس فكرة أنه لا منطق له يقوم عليه . فما هو مثلاً منطق القول بوحدة الوجود إذا نحن أردنا أن نحدد منطقها ؟ أما الحقيقة التي أؤمن بها ، فهي إن وحدة الوجود ليست إلا نزعة أو اتجاه عقلياً بسيطاً أريد به التخلص من مشكلة كبرى ، فأدى القول به إلى مشكلة أكبر . بل لقد كان لذلك المنهج العقلي آثار أخلاقية نمسك القلم عنها لأنها إلى الرذيلة ونكران الفضائل كافة . كذلك كان لها سقطات فكرية يترفع عنها عقل سلم من محتملات القول بوحدة الوجود . وما قولك فيمن يقول « ما في الجبنة إلا الله » . سبحانه وتعالى .

قد يطلب اليما نبيان ذلك المشكل الذي حدا بالعقل إلى أن ينزع هذه النزعة ويتجه ذلك المنهج . وليس ذلك بمتعذر على من أدرك طرفاً من فلسفة القدماء . فالواقع الثابت أن وحدة الوجود لم تقم في العقل البشري إلا نتيجة للبحث في الله والقدم . فزاد القول بها مشكلة الله والقدم استعصاء على منطق العقل الصرف .

ما هي علاقة الله بذلك الاتجاه العقلي ؟

في الفلسفة مبحث يقال له السببية — Causality — مؤداه أن كل مسبب لا بد له من سبب ، وإن كل معلول لا بد له من علة ، والمسبب لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالسبب ، وكذلك المعلول فانه لا يوجد بذاته وإنما يوجد بوجود العلة . فإذا زال السبب أو العلة زال السبب وزال المعلول . هذا منطق بسيط جداً يخاطب عقل البسطاء ، كما يخاطب عقل النبغاء من أهل التأمل . وكفى أنه منطق العربي البسيط الذي يقول : الأثر يدل على السبب .

والعلة في منطق الفلسفة الاستنتاجية أنواع ، لا مجال للخوض فيها هنا . وإنما نقول إن محصل القول فيها أن العلة إذا كانت ناقصة تخلف عنها معلولها ، فإذا تمت فلا بد إذن من وجود المعلول . مثلاً : إذا وجد الخشب والأدوات والنجار ، فهل يكفي ذلك لوجود الكرسي . كلا . ذلك بأن هذه الأشياء تكون علة ناقصة . فإذا أضيف إلى ذلك الإرادة ، مكملت العلة ، وإذن يقوم المعلول ، وهو الكرسي .

والله لا شك علة العلل ، فلا مناص من القول بانه علة كاملة ، لا يتخلف عنها معلولها بصورة من الصور . ولا شك أيضاً في أنه قديم . لأن الحدوث مستحيل عليه باعتباره من صفات المعلولات ، لا من صفات العلل الغائية .

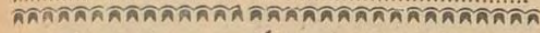
إذا انتهينا من ذلك وجب أن نعتقد أن الله معلولاً أعظم لا يتخلف عنه ولا يشاركه في صفاته التي من أحصاها القدم . فهل المادة التي هي المعلول الأعظم للعلة الغائية ، قديمة أم حادثة ؟ فإذا قيل بأنها حادثة تساءلنا كيف حدثت ؟ وهل يمكن خلق شيء من لا شيء ؟ أو نحو شيء إلى لا شيء ؟

فإذا قيل بقديم المادة ، شاركت المادة الله في قدمه . وإذا قيل بحدوثها ، كانت الطامة على العقل أعظم وأكبر . فانها إذا كانت حادثة دل ذلك منطقاً على أن الله كان علة ناقصة فلما مكملت حدث المعلول . وذلك ما لا يقول به أحد من أصحاب الألوهية على إطلاق القول . هنا نزع العقل إلى وحدة الوجود ، لا شيء ، إلا ليتخلص من مشكلة العلة والمعلول والقدم والحدوث ، فقال إن الله والعالم ، وبالأحرى أن الله والمادة ، وحدة لا تنقسم . هذا ليتخلص من تضارب المنطق عند البحث في الله والقدم .

غير أن ذلك أدّى إلى مشاكل أعظم . فأنت وأنا والجوامد والسوائل وما يعقل وما لا يعقل أجزاء في تلك الوحدة ! هنا تنتفي كل القيم التي قدسها العقل وساق إليها التأمل في الألوهية . تلك هي نزع العقل إلى وحدة الوجود . نزع أراد العقل بها التخلص من مشكلة كبرى ، فوقع في مشكلة أكبر .

كل مرحاً

تعش طويلاً



النحفاء والسمان على السواء في اشد الحاجة الى مزج طعامهم بالفواكه وعصير الخضر . ولا تساءد هذه المواد على الهضم وحسب بل ترهف الجهاز الهضمي برمته ، وتزود الدم بحاجته من الفيتامين .

لا تزدهم بالطعام . فان هضم الاغذية عمل طويل تقوم به أعضاء مختلفة : المعدة والكبد والبنكرياس . فاذا أرهقتها بالعمل احتجت . وسوء الهضم هي طريقة الاحتجاج .

كل بشودة . وهذا من أم الأشياء . فان ازدياد الطعام بغير مضغ جيد من أخطر الأشياء . فالأغذية النشوية كما نعلم جميعاً ينبغي أن تهضم في الفم . تخميرة البلياتين التي تكون في اللعاب هي التي تغير النشويات الى سكريات ينتفع بها الجسم . فاذا لم يختلط طعامك اختلاطاً كافياً بهذه الخميرة المهضمة يبقى كثير منه بغير هضم فيفسد ويغير مظهره الخارجي فكانك مريض وفي الواقع انك مثقل بغذاء غير مهضوم .

أترك متاعبك وانسها اذا جلست الى مائدتك . فلا شك في أن الهضم يتعطل تماماً اذا كانت الناحية الانفعالية في الانسان مضطربة نائرة . ذلك بأن النواحي الطبيعية والانفعالية والعقلية في الانسان متصلة اتصالاً وثيقاً في التشكوين البشري وحالة كل منها تؤثر في صاحبها تأثيراً قوياً . فاذا كنت في ثورة من الغضب أو موجة من الحزن فمن المستحسن أن تتخطى وجبة من أكلك . فان الطعام الذي تاكله وأنت في تلك الحال لا يفيدك أية فائدة وقد يحدث بك ضرراً بالغا .

استرح بعد الوجبة . وان هذا لمن أفيد الشروط الصحية لمن هم في عمل مستمر . فانك اذا بدأت تعمل بعد الأكل مباشرة انجذب الدم من ناحية المعدة الى الدماغ واليدين . وهذا يعيق الهضم . فراحة نصف ساعة على الأقل بعد الأكل من أوجب الواجبات . ولا شك في انك تعوض هذا الوقت نشاطاً ومقدرة وانتاجاً عند ما تبدأ عملك .

ان الذين هم عرضة لسوء الهضم يكونون في العادة أقل مما ينبغي وزناً . فمن الحقائق الثابتة أن النحفاء أكثر وقوعاً في سوء الهضم من اخوانهم المتوردي الحدود المثلثي الأجسام . وذلك بسبب طبيعته . فان قناة الهضم في النحفاء أقصر منها في السمان . وهذا يسبب سرعة مرور الطعام فيبقى جزء منه غير مهضوم وغير ممثل . والطعام غير المهضوم مباءة للتخمير .

ومما يفيد أولئك الذين يقل وزهم عن القدر الضروري أن يعكفوا على أكل الخضر مطبوخة ومعالجة بدهن نباتي . وذلك يبطئ مرور الطعام في القناة الهضمية فتتمكن العصارات الهضمية من ان تؤثر أثرها المطلوب في اتمام عملية الهضم .

وهناك أمر آخر يهم النحفاء المصابين بسوء الهضم . فان خمس أو ست وجبات صغيرة أخلق بهم وأفيد لهم من ثلاث وجبات ضخمة . فان كثرة الوجبات وقلة كميتها تخفف وطأة العمل على المعدة والجهاز الهضمي عامة ولا ترهقه دفعة واحدة . ومن المرغوب فيه أن يقسموا أعمالهم فيجعلوها أقساطاً وأجزاء . ولكن ليدكر هؤلاء أن المقصود بكثرة الوجبات وقلة كميتها أن تكون وجبات لا أكالات صغيرة بين أكالات كبيرة . والنحفاء والسمان على السواء في أشد الاحتياج الى مزج طعامهم بالفواكه وعصير الخضر . ولا تساءد هذه المواد على الهضم وحسب بل ترهف الجهاز الهضمي بآجمعه وتزود الدم بحاجته من الفيتامين .

واليك سر آخر . فانك اذا أخذت في إعادة بناء جهازك الهضمي فتجنب الاقراص المهضمة وبيكرونات الصودا . فان لديك من الوسائل الطبيعية ما هو أنجح منها في تقادي الحوامدي وحدوث الاحاض . فجزء من عصير الكرفس وجزء مماثله من عصير البرتقال ممزوجين خير مزيج لازاحة متاعبك . خذ جزءاً من هذا المزيج أول شيء في الصباح أو في أي وقت تشعر بالحاجة اليه .

تاريخ يومك

ما هو ؟

التقويم العالمي يكفيك إلى نهاية الدهر

في التقويم العالمي كما وضعته جمعية التقويم العالمية في نيويورك ، قسمت السنة المكونة من ١٢ شهراً أرباعاً متساوية كل ربع منها ثلاثة أشهر أو ١٣ أسبوعاً أيامها ٩١ يوماً ، على قاعدة أن أيام الأشهر هي ٣١ - ٣٠ - ٣٠ يوماً في كل منها ٢٦ يوماً أسبوعياً خلا أيام الأثحاد . وكل الوحدات الزمنية تنفق في نهاية كل ربع سنة . والشهور الأوائل من الأرباع تبدأ كلها بيوم الأحد وتنتهي يوم الثلاثاء ، والشهور الثواني من الأرباع تبدأ بيوم الأربعاء وتنتهي بيوم الخميس ، والشهور الثوالث تبدأ كلها بيوم الجمعة وتنتهي بيوم السبت .

في سنة ٤٧ ق . م . عمل يوليوس قيصر بمشورة « سوسيجانوس » — Sosigenes — الفلكي السكندري ، وأصلح التقويم الروماني بأن أخرج من حساب التقويم دورة القمر ووضعها على أساس دورة الشمس . وبدأ التقويم اليولياني من أول يناير سنة ٤٥ ق . م . ، وظلّ متبعاً حتى سنة ١٥٨٢ بعد الميلاد عندما أمر البابا غريغوريوس الثالث عشر بإعادة النظر فيه . والتقويم الجديد ، الذي عرف فيما بعد بالتقويم الغريغوري ، قد اعترف به سنة ١٥٨٢ في كل من إيطاليا وإسبانيا وبولاندا والبرتغال وفرنسا . أما دخوله في سويسرا فكان تدريجاً . وبدى به في سنة ١٥٨٢ وأكمل سنة ١٨١٢ ، فاعترفت به أكثر الدول الجرمانية التابعة للمذهب الروماني الكاثوليكي ، والفلاندر والأراضي المنخفضة سنة ١٥٨٣ ، وقبلته هنغاريا سنة ١٥٨٧ ، والمانيا البروتستانتية سنة ١٧٠٠ ، وصدّق البرلمان البريطاني على التقويم الغريغوري سنة ١٧٥١ ، وطبق على الإمبراطورية البريطانية بأمر ملكي سنة ١٧٥٢ ، وأخذت به السويد سنة ١٧٥٣ ، وأرجعه نابليون في فرنسا سنة ١٨٠٦ مستبدلاً به تقويم الثورة الفرنسية ، واستعملته اليابان سنة ١٨٧٣ والصين الجمهورية سنة ١٩١٢ ، وبلغاريا سنة ١٩١٦ وروسيا السوفيتية سنة ١٩١٨ ، ورومانيا واليونان سنة ١٩٢٤ ، وتركيا سنة ١٩٢٧ .

ومع هذا فإن التقويم الغريغوري لم يعم استعماله . ففي العالم تقاويم كثيرة بخلاف التقويمين اليولياني والغويغوري ، منها التقويم الصيني وهو تقويم قري شمسي ويجري عليه بطريق مباشر أو غير مباشر ٤٥٠ مليوناً من الأنفس في آسيا . ومنها التقويم الاسلامي ويجري عليه ٢٧٥ مليوناً في آسيا وإفريقية ، هذا بخلاف ١٧٠ تقويمياً متفرقة يجري عليها ٣٢٠ مليوناً في الهند . والتقويم الهجري لا يزال معترفاً به في تركيا وفارس وبلاد العرب ومصر وأجزاء من الهند . ويبدأ من أول يوم في الشهر الذي وقعت فيه الهجرة المحمدية من مكة الى المدينة . وكان هذا اليوم على التحقيق يوم ١٦ من يولية سنة ٦٢٢ ميلادية وأشهرها قرية تبدأ بشروق القمر أول كل شهر ، والتقويم الهجري ليس فيه اضافات يجعله جارياً على حسب تغيير الفصول بدورة الشمس ، فسنواته تتراوح بين الفصول في خلال ٣٢ ١/٢ سنة .

وتجري الهند الآن على ١٤ تقويمياً رئيسياً بالإضافة الى التقاويم الغريغوري والهجري والعبري . وفيها تقاويم متفرقة تتبع في مقاطعات مختلفة من المملكة . فالاسامي والبنغالي والبرمي والكوجراتي (بمقاطعة بومباي) والهندو والكفارسي (في ميسور بغربي الهند وأجزاء من مدراس) ومهراشترا (جنوبي بومباي وبونا وغيرها) والملاي (في ملابار) والمرواري (في أقاليم مروار ويستعمله التجار في جميع أنحاء الهند) والاوراي (في أوريسا وجزء من مدراس والجزء الأعظم من بهار) والبارسي والبنجابي والطميل (في جنوبي الهند وسيلان) والتلوجو (في شمالي مدراس) .

ولتضارب هذه التقاويم أثر ظاهر في أنحاء المملكة الهندية . ويقول موظفو حكومة الهند إن استعمالها جملة يحدث مشا كل كبيرة فضلاً عن أنها تكلف الخزينة أموالاً تنفق في غير حاجة الى انفاقها . ومنذ زمن بعيد اعتادت الحكومة أن تطبع أربعة تقاويم منها هي : البنغالي والهندوكي والملاي والطميل ، في هيئة مجموعة للمراجعة وتتضمن أيضاً التقويمين الغريغوري والهجري . ولا تقل صفحات هذه المجموعة عن ٣٥٠٠ صفحة ولا بد من أن تتضمن عبور الشمس والقمر وبعض الأجرام السماوية الأخرى بخط الزوال كل يوم على مدى سنين متعاقبة . وجمع هذه المتفرقات يحتاج ثلاثة أشهر ، وغالباً ما تحتاج إلى زمن أطول كثيراً . فإذا علمت أن هذه المجموعة تتضمن تغيير الفصول بحسب التقاويم المختلفة والأعياد والاجازات الرسمية وكل التواريخ الهامة ، علمت ما يصرف في سبيلها من الجهد العظيم

وكثيراً ما أشارت الصحف البريطانية إلى ما في التقاويم الهندية من التعقيدات التي لا تبارى . قالت جريدة التيمس ذات مرة :

« يحدث في خلال ثلاثين سنة أن يأتي عامان أو ثلاثة أعوام متوالية يكون فيها عند المسلمين أيام حداد تعينها دورة التقويم القمري المتغيرة ، فتتفق وأياماً تكون عند الهندوكيين أيام أعياد محددة بمقتضى التقويم الشمسي » .

ولقد قال « غاندي » ما يأتي :

« لا شك في أنه من المرغوب فيه أن يكون لأمتنا التي تبلغ ٣٥٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة تقويم وطني واحد . ولما كانت كل التقاويم الهندية موضوعة على أساس الاثنى عشر شهراً ، فمن السهل أن تلتقى كل التقاويم على هذه القاعدة . وإني أحبذ الأخذ بمثل هذا التقويم . وإني فوق ذلك أكثر ميلاً إلى تقويم عالمي عام ، كما اني أدعو إلى عملة واحدة تتخذ قاعدة للتعامل في كل ممالك الأرض ، وكذلك لغة واحدة لكل الشعوب » .

ان سكان الصين ، وقد بلغوا منذ زمن نيفاً وخمسمائة مليون نسمة — أي ربع تعداد الأنفس التي تسكن كرة الأرض — قد استعملوا منذ أزمان قفوت الذكريات تقويمين : التقويم القمري القديم ، وإلى جانبه تقويم شمسي يتبع الاشهر الفلكية بدقة تامة . ولقد ألغى التقويم القمري مع قيام الجمهورية ، وحل مكانه التقويم الغريغوري . ولقد عملت الحكومة الوطنية تحت قيادة الزعيم « شنج كاي شك » على العمل بالتقويم الغريغوري . فصدرت الراسيم التي تحظر طبع التقويم الصيني القديم ونشره أو بيعه ، كما أن الحكومات المتعاقبة من سنة ١٩١١ قد صمدت إلى عدم الاعتراف بالعقود والمستندات التي تؤرخ بحسب الطريقة القديمة .

يقدر عدد سكان الدنيا بحوالي ٢.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة ويقدر عدد اليهود من كل المذاهب بحوالي ١٥٠.٠٠٠.٠٠٠ إلى ١٦٠.٠٠٠.٠٠٠ . والتقويم العبري الذي يستعمل الآن تقويم شمسي قمري ، فسنواته شمسية ، وشهوره قمرية . وللتوفيق بين الدورتين الشمسية والقمرية يكبس شهر برمته في السنة الثالثة والسادسة والثامنة والحادية عشرة والرابعة عشرة والسابعة عشرة والتاسعة عشرة في دورة عدتها تسعة عشر طاماً . ولأسباب عملية مثل

ابتداء السبت عندهم ويبدأ بغروب الشمس ، يحصل خلاف ، اذا لاحظنا أن اليوم التقويمي في أربعة وعشرين سنة يبدأ دائماً في الساعة السادسة مساءً . ويختلف الشهر العبري من ٢٩ الى ٣٠ يوماً ، وبذا يختلف عدد الأيام في السنة الواحدة فيكون المجموع عبارة عن ٢٩ يوماً و ١٢ ساعة ، و ٤٤ دقيقة و $\frac{1}{2}$ ثانية مضروباً في ١٢ إذا كانت السنة بسيطة ، وفي ١٣ إذا كانت السنة كبيسة .

والتقويم الرسمي في يوغوسلافيا هو التقويم الغريغوري ، فهو المستعمل في كل العلاقات الرسمية ولا يستعمل موظفو الحكومة تقويمياً غيره . ولكنهم في حياتهم الخاصة يتبعون التقويم اليولياني في تعيين الأيام والمعاملات . وعلى هذا جرى أكثر اليوغوسلاف إلى ما قبل الحرب . وأكثر المسلمين في تلك البلاد ، ولو أنهم « سلاف » بالأصل ، يجرّون على التقويم القمري الهجري . في حين أن اليهود ، يجرّون على تقويمهم العبري .

ومن الظاهر ، بناءً على كل الخلافات القائمة بين التقاويم الحالية ، يحتاج العالم إلى تقويم عالمي عام . وقد ينزع الأكثرون إلى تجميد الأخذ بالتقويم الغريغوري ، ولكن الأفضل أن يدخل على هذا التقويم إصلاح طالما شعر الناس بالحاجة إليه .

ذلك بأن التقويم الغريغوري بعيد عن السكّال كما أبان عن ذلك ك . اندرسون في « صحيفة إصلاح التقويم » : قال —

« يتسامح كل منا في الجري على تقويم يختلف كل شهر وكل سنة . تقويم غير لظيم فيه شهران عدة كل منهما ٣١ يوماً ، هـا يولية وأغسطس : وفيه شهران اثنان ، هما فبراير ومارس يبدأن دائماً بيوم معين في الأسبوع ، غير أنهما ينتهيان في يومين مختلفين . وبذا نجد أنفسنا في حاجة دائماً إلى الرجوع إلى تقاويم سنين ماضية لنعرف كم يختلف تاريخ اليوم (الجمعة مثلاً) من الخميس في السنة الماضية . وهذا ما لا ينبغي أن يحدث فعلاً ، فيجب أن تكون تواريخ الأيام واحدة في كل السنين ، إذا استعملنا شيئاً من الخدق في وضع تقويم جديد » .

إن كل رجال الأعمال والاختصاصيين ، ورجال العلم والتربية والمهندسين والمشرعين ، يعرفون بأن هنالك فوضى تحدث باستعمال التقويم الحالي ، وذلك لاختلاف تواريخ الأيام باختلاف السنين . فكيف نخلص من هذه المعضلة ؟ انظر أولاً في الجدول الآتي ثم اطلع على التفصيل .

يناير	فبراير	مارس
أ ا ث ثل ار خ ج س ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٣١ ٣٠ ٢٩	أ ا ث ثل ار خ ج س ٤ ٣ ٢ ١ — — — ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ — — ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦	أ ا ث ثل ار خ ج س ٢ ١ — — — — — ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤
أبريل	مايو	يونيو
أ ا ث ثل ار خ ج س ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ — — — ٣١ ٣٠ ٢٩	أ ا ث ثل ار خ ج س ٤ ٣ ٢ ١ — — — ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ — — ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦	أ ا ث ثل ار خ ج س ٢ ١ — — — — — ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤
31 سبت زائد (عيد طامي كل سنوات)		
يوليو	أغسطس	سبتمبر
أ ا ث ثل ار خ ج س ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ — — — ٣١ ٣٠ ٢٩	أ ا ث ثل ار خ ج س ٤ ٣ ٢ ١ — — — ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ — — ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦	أ ا ث ثل ار خ ج س ٢ ١ — — — — — ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤
أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
أ ا ث ثل ار خ ج س ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ — — — ٣١ ٣٠ ٢٩	أ ا ث ثل ار خ ج س ٤ ٣ ٢ ١ — — — ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ — — ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦	أ ا ث ثل ار خ ج س ٢ ١ — — — — — ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤
	31 سبت زائد (عيد طامي كل سنة)	

في التقويم العالمي ، كما وضعته جمعية التقويم العالمية في نيويورك ، قسمت السنة المكونة من ١٢ شهراً ارباعاً متساوية كل ربع منها ثلاثة أشهر أو ١٣ أسبوعاً أيامها ٩١ يوماً . وقسمت أيام الاشر على قاعدة ٣١ — ٣٠ — ٣٠ يوماً ، وفي كل شهر منها ٢٦ يوماً أسبوعياً زائداً أيام الاحاد . وكل الوحدات الزمنية تتفق في نهاية كل ربع سنة

ويوم ٣١ ديسمبر في التقويم القديم هو سبت زائد ، وتبدأ السنة الميلادية بيوم الاحد أول يناير . ويوم ٢٩ فبراير في السنين الكبيسة في التقويم القديم يصبح يوم سبت زائداً ايضا يقع في آخر شهر يونيه ، وكل من السبتين الزائدين يعتبر عيداً عالمياً .

هذا تقويم جديد يضارع من حيث الضبط والدقة ساعتك التي تعين ثوانيك ، وهو التقويم الحديث الذي قسمت فيه السنة اثني عشر شهراً ، وزعت على أربع متساوية ، وهو المعروف بالتقويم العالمي . فكل سنة تبدأ بيوم أحد ، وكذلك كل ربع سنة . والشهر الأول من كل من هذه الأرباع عدته ٣١ يوماً وشهران عدتهما ٣٠ يوماً . وفي كل شهر ٢٦ يوماً اسبوعياً زائداً عليها أيام الآحاد . فتجد ان السنة قد قسمت إلى أربعة أرباع متساوية الزمن أي ٩١ يوماً أو ١٣ اسبوعاً أو ثلاثة أشهر . وواضح من ذلك ان أيام السنة تبلغ ٣٦٥ يوماً فاذا أضفنا إليها يوم السبت زائداً في نهاية ديسمبر من كل سنة ليكون عيداً عالمياً ، فكلت السنة ٣٦٥ يوماً وأصبحت ثابتة . ويتبع نفس هذا النظام في السنين الكبيسة حيث يقع اليوم الزائد في وسط السنة أي في يوم زائد بعد يوم ٣٠ يونية ، عدا اليوم الزائد سنوياً بعد ٣٠ ديسمبر . فاذا عمل بهذا التقويم أصبح التاريخ مضبوطاً ضبط ساعتك التي تعيش بها يوماً . فاذا وقع ميلادك يوم أربعاء من أية سنة ، فانه يتكرر في ذلك اليوم دائماً ، وبه يسجل اليوم والسنة على الاستمرار .

مأثورات

« ان من عرف فضل قوته على الضعفاء ، فاعتر بذلك في شأن الأقوياء ، قياساً لهم على الضعفاء ، كانت قوته وبالا عليه »

« ان طالب الحق هو الذي يفلح ، وان قضى عليه ، وطالب الباطل مخضوم ، وإن قضى له . وليس لصاحب الدنيا في دنياه شيء ، لا مال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه ، فذو العقل يحقق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غداً ، وأن يمقت بسميه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا . فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر ، ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر ، بمنزلة نفسه » .

« وبعد فاعلم أن الفأس يقطع به الشجر ، فيعود ينبت ، والسيف يقطع به اللحم ، ثم يعود فيندمل . واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه . والنصل من السهم يغيب في اللحم ، ثم ينزع فيخرج ، وأشباه النصل من الكلام ، إذا وصلت إلى القلب ، لم تنزع ولم تستخرج . ولكل حريق مطق ، فلنار الماء ، وللم الدواء ، وللحزن الصبر ، ونار الحقد لا تحبوا ابداً » .

والعاقل وإن كان واقعاً بقوته وفضله ، لا ينبغي أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة ، كما أنه وإن كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده . وصاحب حسن العمل ، وإن قصر به القول في مستقبل الامر ، كان فضله يبين واضحا في العاقبة والاختبار . وصاحب حسن القول ، وإن أعجب الناس منه حسن صفته للامور ، لم تحمد طاقبة امره .

ابن المقفع : عن يديا الفيلسوف

حذار

من أمراض البرد

« أمراض البرد هي الطاعون الجديد ، تعطل الناس عن العمل ملايين الساعات ومضاعفاتها أكثر وأعظم أثراً من أي مرض آخر » .

قال بعضهم : « إذا أردت أن تتقي البرد فامضغ قليلاً من الثوم ، وبذلك يتقيد المصابون به فلا تنقل اليك العدوى » . والبرد من الأمراض المستعصية على العلاج ، فمنذ خمسة آلاف سنة لم يعثر على علاج شاف له . فهو مرض يأتي ويذهب على غير ارادتك . وفي الوقت الذي يني فيه الهرم الأكبر كانت أمراض البرد تعالج بنفس ما تعالج به الآن . ونحن لانعرف الجرائم التي تسبب هذه الأمراض ، ولكننا لا نشك في انها معدية .

وتختلف اصابات البرد سنة عن سنة ، بل فصلاً عن فصل . لهذا شك الأطباء أن يكون نوعاً بعينه من المترشحات (Viruses) هي السبب في احداثها . ويعتقد دكتور «لوميسوس بوش » انها انما تحدث باجتماع عدة أنواع أو ضروب من الجرائم ، واستنتاج من ذلك أن هذا الوباء قد يسبب لبعض المصابين به معالماً دائماً في بعض الاحيان ، وقد يسبب رشحاً أنفياً أحياناً أخرى ، او التهاباً في الزور ، وكل مجموعة من هذه الجرائم لا بد من أن تنتقل من شخص لآخر ، فتغزو هذه المجموعة نفس المسكان الذي أصيب به حامل المرض ، وتنتج أعراضاً مشابهة للأعراض التي تكون فيه .

كيف تبدأ اصابات البرد ؟

كيف نستطيع ان نعلم انتشار هذا الوباء ؟ وأين تحدث أول اصابة فينتشر منها المرض ؟ والجواب على هذا السؤال ليس صعباً كما يتبادر اليك لأول وهلة . فكل الجرائم التي تسبب اصابات البرد موجودة فعلاً في منطقة الزور في كل انسان صحيح الجسم . والغالب أن كل انسان يحمل قليلاً من ضروبها المختلفة وبين الناس من الاختلاف والتباين ما يحملنا على الاعتقاد بأن الصورة التي تلبس المرض انما ترجع الى استعداد أول من يصاب به . وقد تسأل كيف يستحدث البرد في أول من يقع فريسة له .

جراثيم أمراض البرد ، ككل صنف الجراثيم الأخرى كالسبب حيات Streptococci والعنقوديات Staphylococci التي تحدث الصديد ، تفتعش وتتكاثر إذا حبس عنها الهواء ولم يتصل بها . والحقيقة أن تلك الظاهرة هي من خصائص عدد كبير من الجراثيم المعدية . فالسكرانز (التناوس) وقصبيات القولون Colon bacilli وكثير غيرها ، هي من هذا الطابع . فإذا اتصلت بالهواء ، فإن ضررها يصبح قليلاً نسبياً ، فإذا حبست عن الهواء ولم تتصل به ، تحدث الالتهابات بسرعة ، وتبدأ هذه الجراثيم في التكاثر بنسبة لا تصدق .

وقد يتفق لأول من يصاب بالبرد أن يجلس في تيار هوائي وجسمه دافئ ، فيسبب هذا تبريداً سريعاً في أنسجة العضلات فتتقبض وتسبب ضغطاً على بعض الأعصاب الرئيسية ، وبخاصة أجزاء الأعصاب عند تفرعها من النخاع . فتيار هوائي يصيب الرقبة قد يحدث تأثيراً في الأعصاب المنظمة للدورة في الرأس والوزر ، فينتج عن ذلك ورم في الغشاء المخاطي الحاف بتلك الأجزاء . وهذا الورم أو التضخم قد يظهر في صورة التهاب في الزور أو جفاف في الأنف . ولكن أهم ظاهرة في كل ذلك هو أن الأنف تسد فلا يتخلل الهواء كل أجزائها في تلك الأجزاء التي لا يصل إليها الهواء تأخذ الجراثيم في التكاثر بسرعة عجيبة . ويزداد الاحتقان في تلك الأجزاء وتأخذ الخلايا المخاطية في إفراز كمية كبيرة من المخاط محاولة بذلك الإفراز كنس الجراثيم التي تغزوها إلى خارج الأنف . وبذلك تبدأ الإصابة بالبرد وتأخذ العدوى طريقها المألوف . وقد تحدث الإصابة من أسباب أخرى غير التعرض للتيار الهوائي ، فالامعان في الأكل والشرب أو النعب قد يهيء ظروفاً للإصابة . والنتيجة مع جميع هذه الأسباب واحدة : كتم مجاري الأنف وامتناع الهواء عن الوصول إليها . هنالك تحدث الإصابة .

اصابات البرد لا تعدي دائماً

هنالك حقيقة فذة نعرفها عن تلك الجراثيم التي تسبب اصابات البرد ، هي إنه بالرغم من أننا جميعاً نجعلها فان اختلاطنا بأناس آخرين لا ينقل إلينا العدوى ، ما لم يكن الاختلاط بشخص أو أشخاص نشطت فيهم تلك الجراثيم فأحدثت فيهم أعراض البرد . فقد ذكر دكتور «لوسيو بوش» إنه رأى رجلاً مصاباً بركام مزمّن وزوجه غير مصابة به ، ورأى امرأة مصابة بالتهاب الجيوب المزمن وزوجها غير مصاب به . وهذا يدل على أن الجراثيم لا تصبح خطرة إلا إذا نشطت بصورة حادة . فالاصابات الزمنة غير معدية إلى حد ملحوظ . وحتى الجراثيم المنقولة عن شخص مصاب بحدّة ، قد تقاوم عند ما تنتقل منه إلى شخص آخر ، إذا ما ظلت فجوات الأنف مفتوحة بحيث تسمح للهواء بتخللها فيظل الغشاء المخاطي صحيحاً محتفظاً بقوة المقاومة .

الهواء النقي أسلم من العقاقير

الهواء النقي هو عقار « السُّلفا » الطبيعي ، بيد أن استعماله أسلم عاقبة . وقد يصف الأطباء عقار « السُّلفا » لكثير من المصابين بهذه الأمراض . وقد وجد أن هذا العقار لا يقتل تلك الجراثيم بالفعل ، ولكنه يعمل فقط على وقف نموها وتكاثرها . ويحدث هذا الأثر نفسه من تعرض هذه الجراثيم للهواء . وهنا نجد أن الطبيعة قد سبقنا الكشف العلمي آلافاً مؤلفة من السنين . وكما أن كريات الدم البيض تستطيع قتل الجراثيم بطريقة أسلم من كل عقار مطهر ، كذلك الهواء يستطيع أن يوقف تكاثرها ونمائها ، من غير أن يخلف نتائج سيئة ، كذلك التي يتفق أن يخلّصها تعاطي عقار « السُّلفا » .

ومنذ أن قال العلماء بنظرية الجراثيم ونقلها للأمراض ، حاول الباحثون أن يصلوا إلى طريقة للوقاية من الإصابة بالأمراض ، فعمدوا إلى الحقن ليزيدوا به مقاومة الجسم . ولا شك أن الأطباء قد يقبلون هذه الطريقة مستبدلين على كفايتها بأمراض لا تصيب الإنسان نافية إذا أصابته مرة سابقة كالحصبة والحمى القرمزية . ولكن أمراض البرد من طابع غير هذا الطابع . فإصابة بالبرد لا تمنع إصابة أخرى . وقد يتفق أن يصاب أحدهم بالبرد بعد أسبوع واحد من إصابة سابقة . والنظرية التي تقوم عليها نظرية الحقن بالطعم الواقي هي أن يصاب الجسم إصابة خفيفة ، فتحدث فيه مناعة تقيه إذا تعرض للعدوى بذلك المرض . فإذا لم تحدث المناعة من إصابة شديدة بالمرض نفسه ، فالجسم يكون تضييعاً للوقت لا فائدة منه . هذا موقف الطعم الواقي من البرد في الوقت الحاضر ، وكل الذين حبسوه من قبل أخذوا يفقدون الثقة به الآن .

واقٍ محمود العاقبة

هنالك طريقان : طريق للوقاية من البرد ، وطريق لتقصير مدته إذا حدث . إن إصابات البرد تحدث بمضاعفاتها نسبة كبيرة من أمراض الإنسان . فلو لا البرد لما كان الصمم إلا نادراً جداً . والتهاب الجيوب مرض مقضي عليه إذا لم تكن إصابات البرد . وزكام الأنف ، وما يترتب عليه من إصابات بأمراض تنفساً عنه في الأمعاء والمعدة والقولون تصبح جميعاً في حكم العدم . وقد يقل الصداع بأنواعه . وكذلك ذات الرئة والسل قد تقل نسبتهما ، وأما حمى القش والربو فقد يصبحان من النواذر .

ولا يستطيع أحد أن يمنع كل إصابات البرد . ولكن دكتور « بوش » قد استطاع أن ينزل عدد الإصابات التي أصيب بها بعض مرضاه بنسبة الثلث . وقد سجل ذلك مدى

ثلاثين عاماً اتخذ فيها نوعاً خاصاً من العلاج . ومرعى هذا العلاج هو أن يجعل الهواء يتخلل الأنف والزور وييسره بحالة سوية . ولكي يصل الانسان إلى هذه النتيجة ينبغي له أن يزيل كل العوائق الأنفية بأن يوسع مجاريها بواسطة أصبعه البنصر . ولا تعميق هذه الطريقة دورة الدم ، فإن شعيرات الدم بعيدة عن التأثير بذلك فلا تتمزق . فإذا كانت العظام قد انتقلت من مكانها السوي بحادث سابق أو تكون قد عيقت عن النماء بفعل طبيعي ، فمن الممكن ردها إلى مكانها ، فلا تعوق المريض عن التنفس بفتحتي أنفه تنفّساً حرّاً . وما لم يكن الأنف مصاباً بمرض آخر يعوق ذلك ، فإن هذا العلاج يمنع كثيراً من إصابات البرد بالرغم من التعرض لدواها .

فإذا انفتحت مجاري الأنف زالت العوائق التي تسد الجيوب أيضاً فتنقى وتظل نقية بالتخط ، وهو الطريق الذي ابتدعه الطبيعة لتخليص الجيوب من نفاياتها . ويمكن أيضاً إزالة الالتصاقات « الانقيسومية » — nasopharynx (الأنفية البلعومية) وزول معها الجيوب التي تحدثها تلك الالتصاقات . وزوالها يزول سبب آخر من الأسباب الحديثة لاصابات البرد والزكام الأنفي . وكذلك يمكن إزالة المئات الغددية فلا تعوق التنفس الأنفي ولا تمنع القناة الأوستاشية — eustachian tube — من تأدية وظيفتها فلا يكون هنالك أي تأثير على السمع بصورة سوية . إننا لا نستطيع أن نتخلص من الجراثيم ، ولكن في مكنتنا أن نقضي على قدرتها .

في طوقنا بعد أن نصاب بالزكام أن نقصر مداه ونخفف من أعراضه بطريقة مشابهة لهذه الطريقة . فإن في قدرتنا أن نكسر الأعصاب إذا ضغطت عليها العضلات المتقبضة فأعاقها عن أداء وظيفتها السوية . يمكن ذلك بتقويم العظام بواسطة اليد . فإن مجاري الأنف يمكن فتحها وإخراج ما بها من مصادر الداء . وتصريف النفايات يمكن تحسينه حتى تنبذ مصادر الإصابة وتعود حالة الصحة . ولا تقتصر فائدة هذه الطريقة على تقصير مدى الإصابة وتخفيف آلامها ، بل إنها تمنع مضاعفاتها ، فتقلل الإصابة بذات الرئة والسل ، وكذلك خراجات الأذن والصمم .

وإن إصابات البرد من حيث علاقتها بالانتاج وضياح كثير من ساعات العمل ، أمر ينبغي النظر فيه . فإن ما يفقده الأفراد والمجموع من جراء ذلك ، كقيل بأن يحملنا نصرف من العناية بها والعمل على التخلص منها أضعاف ما نعمل الآن . ولا شك أن لهذه الأمراض علاقة بالناحية الاجتماعية لا ينبغي إهمالها .

في مصر القديمة

الحروب بين ملوك الشمال وملوك الجنوب

قبل عصر التوحيد الثاني (الدولة الوسطى)

للدكتور - بالهور - لبيب

ترامت المينا أخبار الحروب الداخلية ، التي قامت بين ملوك اهناسيا في الشمال ^(١) وملوك طيبة في الجنوب ^(٢) من الطرفين المتحاربين بصورة تجردت نصوصها من معرفة السبب الحقيقي القدي من أجله نشبت تلك الحروب

فيمكن أن يكون سببها (١) خلافاً بين الفريقين المتحاربين على منطقة واقعة في حدود طيبة (بلدة ازوريس) ادعاها ملوك الشمال لأنفسهم وكانت في يد ملوك الجنوب (ب) وقد يكون نزاعاً على الاختصاص الاداري بين موظفي الحدود كالحراس او موظفي الضرائب في كل من المملكتين الشمالية والجنوبية (ج) وقد يكون شعور أمراء الجنوب بالحاجة الى توسيع حدودهم وشعورهم بقوتهم وبضعف الفريق الآخر (د) وقد يكون تطلع أمراء الجنوب الى الرغبة في توحيد مصر مدفوعين إلى ذلك بعامل القومية كما فعل الملك مينا من قبل والملك احمس الأول فيما بعد

وأني شخصياً أرجح السبب الأول مع السبب الرابع (١) مع (د) وذلك لأن الملك خيتي الثالث (واح كارع) وهو من ملوك الشمال اعترف في وصيته لابنه خيتي الرابع (مري كارع) بأنه ندم على تعديه على طيبته وقد استنها بما اضطر ملك الجنوب إلى الدفاع عن حدود منطقته الشمالية رداً للاهانة وسعياً وراء توحيد القطر المصري كله

(١) وكان سلطان فراعنة اهناسيا يمتد من الدلتا وينتهي عند طيبة او بلدة المراية المدفونة ومقر تاسمتم بلدة اهناسيا المدينة.

(٢) أما نفوذ فراعنة طيبة فكان يمتد من اسوان جنوباً وينتهي عند طيبة شمالاً

والذي نعلمه عن هذه الحروب هو ان أول ملك من ملوك طيبة ذكر التاريخ أنه حارب البيت الالهاسي هو الملك أنتف الثاني (واح عنخ) وذلك لأنه من الثابت ان المنطقة التي كان يحكمها هذا الملك تبدأ من الفنين جنوباً وتنتهي في طينة شمالاً أي في القسم الاداري المصري القديم رقم ٨

وقد عرفنا من لوحة حجرية وجدت في الجورنه مؤرخة من عصر الملك (واح عنخ) وموجودة الآن في المتحف المصري وهي للسمر الاوحد جاري وفيها يذكر : « ... بعد الحروب التي نشبت مع ملوك البيت الختي في المنطقة الغربية من طينة » ففي استطاعتنا ان نجزم من هذا النص بان ميدان الحرب بدأ في أقصى المنطقة الشمالية التي كانت تحت حكم الملك انتف (واح عنخ) أي في بلدة طينة الواقعة في قسم ابيدوس والظاهر أن نتيجة هذه الحرب كانت في مصلحة ملك طيبة لأننا نعلم فيما بعد ان حدود هذا الملك الشمالية وصلت إلى منطقة أعلى من طينة وهي منطقة قسم الثعبان أي وصلت إلى القسم العاشر الاداري من أقسام مصر الادارية .

وقد حافظ هذا الملك على هذه الحدود إلى السنة الخمسين من حكمه لأنه لدينا لوحة موجودة بالمتحف المصري مؤرخة في السنة الخمسين من حكمه وفيها يسجل : « ... ان حده الشمالي وصل إلى قسم الثعبان » أي ان هذه المنطقة قد اعتبرت حدها شمالياً . وعليه فالنتيجة النهائية هي انه في السنة الخمسين من حكم (واح عنخ) لم يتم الاستيلاء على اقليم ابيدوس فقط بل وصل إلى القسم العاشر

ولكن حكم ملوك طيبة على هذا القسم العاشر الذي انتصر عليه (واح عنخ) لم يستقر ولم يكن نصيبه الهدوء والسكينة بل ثارت بعض الاجزاء على من حكموا بعده كما ذكرت لنا لوحة حجرية لموظف يدعى « ايكا أورانف » فنجد حاكم اسيوط المدعو « تف ايبي » والذي كان يعاصر ويشايخ الملك الالهاسي ختي الثالث (واح كارع) يحلي جيش طيبة في موقعة بحرية عن القسم العاشر باسم ملك الشمال ويضطره للرجوع جنوباً إلى حدود الطرفين القديمة أي إلى طينة .

ثم أرجع الملك منتو حتب الأول قبيل وفاته حدود مملكته كسابق عهدها إلى قسم النعبان أي القسم العاشر .

نعلم أن ابن « تف ايبي » المدعو خيتي والذي كان معاصراً لملك الشمال خيتي الرابع (مري كارع) قد حارب مع ملوك الشمال في القسم الحادي عشر ضد ملك الجنوب .

بعد ذلك نعلم أن ملوك طيبة نجحوا في امتداد سلطانهم إلى شمال المنطقة الشمالية المابقة فاستولوا على أسيوط نفسها وهي في القسم الثالث عشر ، وبذلك ينتهي تاريخ أمراء أسيوط فعلاً أيام (خيتي بن تف ايبي) . وتكون منطقة القسم الثالث عشر هي أعلى ما بلغ إليها ملوك طيبة .

ونعلم بعد ذلك من نصوص حانتوب الواقعة شمالي أسيوط أي في القسم الخامس عشر أن حروباً قامت في هذه الجهة أدت إلى استيلاء ملوك طيبة على هذه المنطقة .

وأخيراً استطاع ملك طيبة المدعو « نب حبت رع » (منتو حتب الثاني) بعد ذلك من توحيد المملكة المصرية فابتدأ بذلك حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد عصرًا جديدًا ممتازاً في تاريخ مصر القديمة وهو المعروف بعصر التوحيد الثاني (عصر الدولة الوسطى) .

وقد استمر توحيد المملكة المصرية في عهد خلفه « مبعنخ كارع » (منتو حتب الثالث) ونب تاوي رع (منتو حتب الرابع) وباقي ملوك عصر التوحيد الثاني .

وهذه المناسبة نقول أن عدد ملوك بيت طيبة (المعروفين بملوك الأسرة ١١) وترتيبهم كالآتي على حسب أحدث الآراء :

- (١) انتف الأول (مهر تاوي) (٢) انتف الثاني (واح عنخ) (٣) انتف الثالث (نحت نب تب تهر) (٤) منتو حتب الأول (مبعنخ ايبي تاوي) (٥) منتو حتب الثاني (نب حبت رع) (٦) منتو حتب الثالث (مبعنخ كارع) (٧) منتو حتب الرابع (نب تاوي رع)

ويلاحظ أن بعض هؤلاء الملوك كان معاصراً لملوك البيت الالهاسي كما شرحنا

مفردات نباتية

لمحمود مصطفى الرميحاني بك



ورد بعضها ضمن مفردات ابن البيطار وهي التي استعارها العرب من لغة المسيحيين الاسبانيين وسماها ابن البيطار اللغة اللاتينية . أوردتها مرتبة بحروف المعجم . وقد اعتمدت في تحقيقها على ما جاء في بحث للعلامة لكثيرك أخذ عناصره بالأخص من الترجمة العربية لديسقوريدس بالخطوط ١٠٦٧ من التتمة العربية لدار الكتب الامبراطورية بفرنسا ونشره بالجريدة الآسيوية في يناير سنة ١٨٦٧ بعنوان « تعليق على الترجمة العربية لديسقوريدس والتراجم العربية عموماً تنمة للدراسات اللغوية عن ابن البيطار »

﴿ انطويا ﴾ هي الهِنْدَب والهِنْدَبَا والهِنْدَبَا والهِنْدَبَا والعامة تقول هندبة وفي الاسبانية endibia والبرتغالية endivia والانجليزية succory; endive; والفرنسية chicorée وفي اصطلاح النباتين Cichorium — جنس بقل من الفصيلة المركبة .

﴿ بشقناقة ﴾ في الانجليزية parsnip والفرنسية pastenague; panais وفي اصطلاح النباتين Peucedanum sativum — نبات من الفصيلة الخيمية .

﴿ بلنتان ﴾ هو لسان الحمل وفي الاسبانية ihantem والانجليزية plantain والفرنسية plantain وفي اصطلاح النباتين Plantago — جنس نبات من الفصيلة البلاتنجنية عريض الورق أصفر الزهر حبسه كالحمّاض .

﴿ بوبودية ﴾ وتسمى بالبَسْفَاج وبالكثير الأرجل وبأضراس الكلب وبالبولوبوديون وفي الانجليزية polypody والفرنسية polypode وفي اصطلاح النباتين Polypodium جنس نبات من المراخس له عروق دقاق إلى السواد والحمة اليسيرة أو الى الخضرة ذات شعب كالودودة الكثيرة الأرجل .

﴿ جَقْوُطَة ﴾ هي الشوكران وفي الانجليزية hemlock والفرنسية ciguë وفي اصطلاح النباتين Conium — جنس نبات من الفصيلة الخيمية وهو المشهور في مفردات الأطباء .

﴿ جَنْتَنُو ﴾ هو السُّلَيْت وفي الاسبانية centeno وسماء ديسقوريدس tragus وفي الانجليزية rye والفرنسية seigle وفي اصطلاح النباتين Secale — جنس نبات من الفصيلة النجيلية .

﴿ جَنْطُورِيَّة ﴾ هي القَنْطَارِيُون والقَنْطُورِيُون وفي الانجليزية centaury; knapweed والفرنسية centauree وفي اصطلاح النباتين Centaurea — جنس حشيشة من الفصيلة المركبة مرّة الطعم جدًّا وتعرف في مصر باليمرور والمرير وسرّة النعجة .

﴿ رَابَنَة ﴾ هي الفُجْل والفُجْل وفي الانجليزية radish والفرنسية radis وفي اصطلاح النباتين Raphanus — جنس عشب من الفصيلة الصليبية له أرومة تؤكل ذات لحم أبيض وقشر أحمر أو أبيض أو أسود وورق عريض .

﴿ شَالِبِيَّة ﴾ هي الالسفاقن باليونانية وفي الانجليزية sage والفرنسية sauge وفي اصطلاح النباتين Salvia — جنس نبات من الفصيلة الشفوية . وتعرف في مصر بالمريمية والرَّعْل وشجرة الغزال والغبيش والعريثم .

﴿ شَبُوق ﴾ هو الخُمَّان ويسمى في مصر بالبَيْسَلَسَان وفي الاسبانية sabugo والانجليزية elder والفرنسية sureau وفي اصطلاح النباتين Sambucus — جنس شجر من الفصيلة البيلسانية .

﴿ شَيْبِيَّة ﴾ هي الأَبْهَل والعامّة تقول الأَبْهَل بالضم وفي الانجليزية savin والفرنسية sabine وفي اصطلاح النباتين Juniperus Sabina — شجر كبير من الفصيلة الصنوبرية ورقه كالطرفاء وثمره كالنبق .

﴿ شَطْرِيَّة ﴾ هي النَّدْغ والنَّدغ والسعتر البري وفي الانجليزية savory والفرنسية

sarriette وفي اصطلاح النباتين Satureia — جنس نبات من الفصيلة الشفوية .

﴿ طمرجة ﴾ هي الطَّرْفَاء والاثنل وتسمى في مصر حَطَبْ أَحْمَر وفي الانجليزية tamarisk والفرنسية tamaris وفي اصطلاح النباتين Tamarix — جنس شجر من الفصيلة الطرفائية .

﴿ فلجة ﴾ هي المرخس الذكر وفي الانجليزية male fern وسماها ديسقوريدس filix وبالفرنسية fougère mâle وفي اصطلاح النباتين Dryopteris Filix mas — نبات من المراخس .

﴿ قانترة ﴾ هي الكُزْبُرَة والكُزْبُرَة والكُسْبُرَة وتفتح الباء .
معرب كُسْبَر بالكلدانية وتسمى بلغة الين تَقْدَة وفي الاسبانية coentro والانجليزية coriander والفرنسية coriandre وفي اصطلاح النباتين coriandrum — جنس نبات من الابازير فصيلته الخيمية ويعرف بزرها بالجلجلان .

﴿ قرنولية ﴾ هي القرانيا وتسمى في بلاد الجزائر قراصية وفي الانجليزية dogwood والفرنسية cornouiller وفي اصطلاح النباتين Cornus — جنس شجر جبلي ثمره كالتوتون من الفصيلة القرانية .

﴿ قبرونش ﴾ هو النَّبَق (عن بوسن) وهو غير السِّدْر المعروف وفي الاسبانية scambrones وبالانجليزية buckthorn والفرنسية nerprun وفي اصطلاح النباتين Rhamnus — جنس شجر من الفصيلة النبقية .

﴿ لوره ﴾ هي الغار والرَّند وفي الانجليزية laurel والفرنسية laurier وفي اصطلاح النباتين Laurus — جنس شجر من الفصيلة الغارية له دهن كثير المنافع .

﴿ مطرنيس ﴾ هو القطب وفي الاسبانية madronho والانجليزية arbutus strawberry-tree والفرنسية arbousier وفي اصطلاح النباتين Arbutus — جنس شجر من الفصيلة الاربكية يكثر في جبال الشام دقيق الورق ناعم شديد الحمرة يحمل حباً

نحو العنب أخضر فاذا نضج كان أحمر كالياقوت طيب الرائحة حلو الى قبض إذا مضغ صار
تفله كالتين

﴿ مامندر ﴾ هو البسنج وفي البرتغالية memendro والانجليزية henbane والفرنسية
jusquiame وفي اصطلاح النباتين Hyoscyamus — جنس نبات من الفصيلة الباذنجانية .
مسبت مذهب للحس . معرب بنك بالفارسية . ومن أسمائه في مصر التاتورة وسم الفار
وشجرة السكران . والسيكران .

﴿ نابه ﴾ هي اللفت والسلجم وفي الانجليزية rape والفرنسية navet وفي اصطلاح
النباتين Brassica Napus — نبات من الفصيلة الصليبية .

﴿ يذرة ﴾ هي اللباب الكبير والعصبة وعاشق الشجر وحبل المساكين والقرسوس
وفي الاسبانية Yedra والانجليزية ivy والفرنسية lierre وفي اصطلاح النباتين Hedera
جنس نبات من الفصيلة الارالية ورقه كورق اللوبيا يتعلق على الشجر ويسمى في
مصر بالعليق

﴿ يربه قرجياله ﴾ هي الهيوفاريقون وفي الاسبانية coraion zilho والانجليزية
Saint John's wort والفرنسية millepertuis وفي اصطلاح النباتين Hypericum
جنس نبات من الفصيلة الهيوفاريقية

﴿ ينجه ﴾ في الاسبانية junco والانجليزية cat's-tail والفرنسية massette
وفي اصطلاح النباتين Typha — جنس نبات من الفصيلة النيفية يسمى في مصر بالبردي
والديس .

﴿ ينجه ﴾ هي الإذخر والإذخر وطيب العرَب والخلال المأموني لأن المأمون كان
يتخلل بها وفي الاسبانية junco والانجليزية lemon grass والفرنسية citronnelle
jone odorant وفي اصطلاح النباتين Andropogon Schoenanthus حبشية طيب
الرائحة من الفصيلة النيجيلية .



مكتبة المقتطف

الفتح مستمر : للاستاذ فؤاد صرّوف

هدية المقتطف سنة ١٩٤٤ : ٢٤٨ صفحة من القطع الكبير

عني الأستاذ فؤاد صرّوف بأن يغذي الوهبة التي وهبها بطبعه ، وأن يقوّي الاتجاه الذي اتجه به في التعليم ، بأن يتابع البحث والكتابة في الموضوعات الطبيعية ، والتوسع فيها ، والسعي في شعابها المختلفة ، فتابع نشر بحوثه في المقتطف وفيما ألقى من محاضرات حتى كادت تكون حياته العلمية مقصورة على هذه الناحية . وللاستاذ صرّوف قدرة خاصة على تبسيط العلوم التي تناول مختلف فروعها بالكلام فيما كتب من المقالات والكتب ، فإذا قرأته فأنصّب في أدق الموضوعات الطبيعية أو الحيوية ، فكأنك تقرأه قاصّاً طلي العبارة منسجم القول مبيناً مفصلاً ، بعيداً عن التعقيد ، قريباً من عقلك وقلبك . فأملوه من الدطام التي قرأت موضوعات العلم من ذهن الأديب والفنان ، وذلك أقصى جهد يبذله مثقف من المثقفين ، وأسمى مرتبة يطمع فيها من يحاول أن يجعل المعرفة بوجهاتها المختلفة ملكاً مشاعاً للجميع .

وكتابه الأخير « الفتح مستمر » دليلٌ حيٌّ على ذلك فقد تناول فيه ثلاث جهات من العلم : الكون والمادة ، وأسرار الجسم الحي ، والصحة والمرض ، وهي جهات على اتساع ما بينهما من الفروق ، لها العلم في بورة واحدة وجمع بينها في بوتقة بعينها من الفكر ، فبسطها الأستاذ صرّوف أروع تبسيط وأدّاها أحسن أداء .

الطب التجريبي

مدخل الى دراسته

تأليف كلود برنار ، ونقله عن الفرنسية الدكتور يوسف مراد والاستاذ حمد الله سلطان ، وأخرجته ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية بصر ، ويقع في ٢٤٦ صفحة من القطع الكبير ، طبع المطبعة الاميرية سنة ١٩٤٤ .

جاء في مقدمة ذلك الكتاب ما يلي :

« وكلود برنار (١٨١٣ — ١٨٧٨) أحد العلماء الذين شعروا في أثناء بحوثهم العلمية بضرورة الوقوف هنيهة وإعادة النظر في أمس العلم العقلية والتجريبية ، وفي صلة العلوم بعضها ببعض ، وفي قيمة القوانين العلمية من حيث يقينيتها ومن حيث هي عنصر من عناصر تفسير الكون بأسره . وقد ضمن كلود برنار آراءه الفلسفية في هذه المشاكل في عدة مقالات نشرتها مجلة العالمين ، وفي هذا الكتاب الذي تقدمه لقراء اللغة العربية وهو « المدخل إلى دراسة الطب التجريبي » .

وقد حصر كلود برنار همه في التقريب والملاحظة والتجربة وزاد إلى ذلك أن قرّب بين الاستنتاج والاستقراء ، مبيناً أن منهج العلوم التجريبية ليس منهجاً استقرائياً خصباً ، بل إنه منهج استقرائي استنتاجي أو كما يقال منهج فرضي استنتاجي . وقد أشار بذلك إلى الأثر الهام الذي يخلفه الحدس في تكوين الفكرة التجريبية ، وإلى ضرورة الشك أولاً في نتائج التجربة حتى التأكد من صحتها نهائياً ، باقاة التجارب العكسية .

ولاشك عندنا في أن وزارة المعارف قد أدّت خدمة جلييلة بنقل هذا الكتاب وطبعه . ولا يسعنا إلا أن نأمل من الوزارة أن تنشر هذا الكتاب بين طبقات المتعلمين نشرأ واسع النطاق . فإنه دستور ثابت للبحث العلمي والعقلي ، وأساس تعليمي من أروع الأسس التي ينبغي أن يعم العلم بها طبقات المثقفين . والمبادئ التي تضمنها لا يستغنى عن العلم بها عالم أو أديب أو فيلسوف . ولقد سمعت من قبل بعض النقاد يقولون أن الكتاب قديم وإنه قليل الفائدة في عصرنا الحاضر . ولم أكن قد اطلعت عليه . فإذا بالترجمة العربية توجي لمن يطلع على هذا الكتاب أنه جدير بما أحدث في الفكر الفرنسي في عهده ، وأنه أجدر بأن يحدث في هذا الجيل من أبناء العربية ، أثراً أبين وأعمق .

وأسلوب الترجمة على وجه عام أكمل ما ينتظر لمثل هذا الكتاب العقد ، فقد بذل فيه الترجمان الفاضلان جهد المستقصى ، وغالب الظن انه لم يفتهما من المعنى الأصلي شيء ، اللهم إلا الهنات التي لا يسلم منها مترجم ينقل من لغة الى لغة ، والترجمة كما قيل كنقل روح

من جسم إلى جسم ، لا يؤمن استعمالها منه . وبالرغم من هذا فان العبارات بيّنة
والأسلوب سهل على قدر ما تمكن السهولة في كتاب يخرج من عقل فيلسوف عالم ، يجمع فيه
بين طرفين متباعدين .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ان في بعض الاستعمالات التي وردت في المقدمة وفي صلب
الكتاب ما كان ينبغي أن لا يفلت منه مترجميه وهما من نعلم منزلتهما من العلم والفضل .
ولكنه على كل حال نقص القادرين على التمام . فقد ورد في المقدمة استعمال كلمة فيزياء مرات
ومرات فيزيقا ، فذكر كاتب المقدمة الفيزيكية الكيميائية ثم فيزيائية وكيميائية ، ثم قال
الكيميائيين والفيزيقيين وكلها تعريب لكلمة — Physics — وكان من الواجب أن يوحد
رسم الكلمات طلباً للضبط ورفع اللبس عند المتدئين . كذلك ورد في ص ١٦٨ العبارة الآتية:
« في الأوردة وفي الشرايين ، وفي القلب الأيمن وفي القلب الأيسر » الخ . والواقع انه ليس
هنالك قلب أيمن وقلب أيسر ، وإلا لأصبح للانسان قلبان ، وانما له قلب واحد فيه
بطينان ، البطين الأيمن والبطين الأيسر .

على أن هذا لا ينقص من قيمة الكتاب . فانما هذه الهنات وغيرها ، وهي قليلة ،
هنات شكلية لا تصيب من الموضوع والجوهر شيئاً . وانا لفستحث وزارة المعارف على
تزويد الحركة الفكرية بالكثير من أمثال هذه الكتب الفذة التي هي لدى الواقع لب النهضة
الفكرية ، والنور المشع الذي يلمع في سماء الفوضى التي تغمر حركة التنوير الحديثة في مصر ،
وقد أخذ بعض الناشرين يلقون في تيارها بكتب سمجة الموضوع غثة الفكر ، يؤديها أسلوب
كأنه الرصاص ، صلب بارد ثقيل .

م . ا

من حرب عالمية الى سلم عالمي

تأليف الاستاذ ليون بيلوس باللغة الانجليزية — ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط ،
طبع بمدينة الاسكندرية سنة ١٩٤٤

From Global War To Global Peace. By Leon Belilos. A Twentieth Century Charter and a Rallying Ground. The Means of Achieving the Principles of the ATLANTIC CHARTER.

The Ways and Means of Achieving the Six Essential Freedoms Regarding : WANT — FEAR — WORSHIP — EXPRESSION — IGNORANCE — WAR

عالمج المؤلف في كتابه هذا مشكلات هذا العصر بروح قلما تعجب رجال السياسة . فكل
الكتاب من أوله إلى آخره معروف إلى الإصلاح على أساس تغيير العقلية الانسانية بالقضاء

على النزعتين السياسية والحربية وتحكيم العلم في ترويض النزعات الانقلابية وعلاج المساوىء التي ورثناها عن الماضي بتنظيم الحياة على أساس علمي ينصرف إلى دراسة الادواء الاجتماعية دراسة علمية ويقوم النظم على قاعدة ما تدعو اليه الحاجة من تغيير في النظم القائمة تغييراً يضمن سير التطور الطبيعي للجماعات ، ويمنع عنها سوآت الانقلاب والثورات .

فالمؤلف من التطوريين الذين يقولون بأن التطور أساس الاصلاح ، وإن ذلك الأساس ينبغي أن يأخذ الخطأ الطبيعية التي تنقله درجة بعد درجة إلى آفاق جديدة بحيث لا يشعر الناس بأنهم تسلموا من حالة الى أخرى ، إلا بأن ينظروا إلى الماضي فيقيسون ما هم فيه على ما كانوا فيه ، فلا تصدمهم في الحياة نظمات عتيقة تشعرهم بأن الحالات القائمة من حولهم قد تخلفت عن حاجاتهم العيشية وآمالهم ومطامعهم ، شأن الناس في هذه الفترة العصيبة . ولا شك في أن القلق الذي يسود عالم الانسان الآن إنما يرجع إلى أن الجماعات خلفت من وراءها نظمات يريد رجال السياسة والحرب أن يلزموها الخضوع لها قسراً ، غير ناظرين إلى أن حكم التطور الطبيعي لا راد له ، وإن ما تطلب الطبيعة أن يكون ، لا بد من أن يكون .

وبالرغم من أن السياسيين ورجال الحرب يشعرون بنفس القلق الذي يشعر به العلماء ورجال الاجتماع ، فانهم لا يزالون في أسر تلك العقلية القديمة التي تزين لهم أن مباحكات السياسة وقنابل المدافع في استطاعتها أن تكبح سير الطبيعة وأن تقف تيار النشوء الاجتماعي وسنعود إلى الكلام بالتفصيل عن وجهات من النظر تصدى لها المؤلف وسنتناولها بالعرض والنقد في صفحات المقتطف ، وسننشر أول شيء مقالاً بعنوان « الخطايا العشر » في عدد مارس المقبل ، نفصل فيه القول فيما مهد به المؤلف لكتابته من الاخطاء التي توسع هوة الخلف بين الشعوب والطبقات والافراد . والكتاب جدير كل الجدارة بأن ينعم النظر فيه ، كل من يشعر بأن العالم في حاجة إلى الخروج من دائرة الفكرة القومية إلى دائرة الفكرة العالمية ، التي يرمي اليها ميثاق الاطلنطي .

أعلام الاسلام : محمد عبده

تأليف الدكتور عثمان أمين — نشرته لجنة دائرة المعارف الاسلامية : ١٤٢ صفحة من القطع الصغير هو الكتاب الخامس في سلسلة أعلام الاسلام التي تصدرها لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية وقد تقدمه أربعة كتب أخرى من حجمه في عمرو بن العاص ومنصور الأندلس وشار بن برد والمعز لدين الله . والعمل في قوامه من أجدد الأعمال الأدبية التي فكر في اخراجها شبابنا المتعلم ، بورك فيه . فان حياة الأمم إنما تظل قائمة بصور الحياة ما اتصل

حاضرهما بماضيها ، فاذا انفصمت تلك العقدة الحيوية ، انفصم معها رباط القوة التي تصل بين المقومات الحيوية ، فنحل الحياة الفكرية وتفسد معها المعاني التي تعيش الأمم وتستهدي بها ، معاني الوطنية والمجد القومي والشعور بالعزة ، تلك المعاني التي هي الروح الحي المنبث في نضاعيف العقل الاجتماعي وتخفي دائماً في وعي العقل الفردي ، فتمد الحياة بجهتيها جهة الفرد وجهة الجماعات ، بالمناليات التي تنير لها سبيل التقدم وتمدها بالقيم التي تقودها في الحياة .

ولقد أحسن القارئون بنشر هذه السلسلة باختيار موضوع هذه الحلقة إذ خصت بها رجلاً لا زال جميعاً متأثرين بحياته ، كما أحسنوا في أن عهدوا بها إلى أستاذ استطاع أن يبسطها أبين البسط ويؤديها أقوم الاداء . فالترجمة عن حياة الرجل تمضي في تدرج طبيعي من الطفولة الى الرجولة إلى نبوغ الكهولة ، ويظهر على السبيل التي تكتوت بها عقلية الامام محمد عبده والحوادث التي أثرت في تكوينها حتى أصبحت ما هي . وقد أشار مؤلفها الفاضل إلى ما كان المترجم عنه من أثر في الصحافة وحرية الفكر والسياسة والحكمة ، وبين ما كان من أمر علاقته بالفيلسوف الكبير جمال الدين الافغاني ، وما تركت في عقله المتوثب من أثر ثابت باقي .

على أن الترجمة قد أظهرت لنا ناحية أخرى من نواحي حياة الامام ، ولو ان إظهارها لم يكن بطريق ايجابي ، بل كان بطريق سلبي صرف . وقد التزم المؤلف في ذلك ناحية الأمانة الصرفة . فانه لم يتكلم في حياة الأستاذ من حيث اتصالها بالحركة العلمية التي قامت في خلال حياته في أوروبا فقضت على المذاهب القديمة في العلم والفلسفة بقيام مذهب النشوء والتطور في إنجلترا وما شارك قيامه من معارك فكرية في ذلك العصر . ولم يتعرض لما تكلم فيه الأستاذ والسيد جمال الدين من الرد على الدهريين وقد عنيا بهم التطوريين أنصار مذهب النشوء والارتقاء ، وحسنًا فعل . فان الخطوة التي خطاها السيد والشيخ ، كانت خطوة علمية ولكن الى الوراء ، فأهمل الكلام فيها . والحق ان الكلام في ذلك كان خارجاً عن مجالها فلم يصيبا فيه ، ولم يوفقا في نقودها التي وجهها إلى المذهب الذي قلب نواحي الفكر في القرن التاسع عشر .

وأسلوب الكتاب رائع فيه بساطة وجمال . ولا استدراك لنا على ما استعمل فيه المؤلف الفاضل من الألفاظ إلا قوله « اللاهوتي » (ص ٢٥) وقد عني بذلك الامام محمد عبده ، ويحسن أن نترك هذا الاستعمال للكلام في اللاهوت المسيحي . وغالب ما أذهب اليه انه لا يوجد لاهوتية في الاسلام ولا يوجد لاهوتيون عند المسلمين .

أبو العلاء المعري

فيلسوف الشعراء

رسالة من منشورات مجلة المسرة للاستاذ الآب يوحنا فاخوري البولبي ،
استاذ الآداب العربية في معهد الرسالة البولسية — حريصا ، لبنان —
١٩٤٤ — ٦٠ صفحة من القطع الكبير ، أصدرتها مطبعة القديس بولس

ان الفارق الذي نلاحظه بين القول بأن المعري فيلسوف الشعراء أو أنه شاعر الفلاسفة ،
ينبغي أن يكون له وزن كبير في أي نقد نتناول به مذهب هذا العبقري الفذ . فهو إما أنه
فيلسوف إلى الشعر ، أو انه شاعر إلى الفلسفة . ولكل من الاعتبارين اثر في توجيه القول .
فاذا نظرنا في مذهبه من حيث هو فيلسوف فرضنا عليه أن يكون عمله بالفلسفة أساساً
للقد ، وإذا نظرنا فيه من حيث هو شاعر فرضنا عليه أن يكون فيه الشعري أساساً للنقد .
والاستاذ الفاضل مؤلف هذه الرسالة ممن يقولون بأنه فيلسوف غلب عليه الشعر ، في حين
أننا نرى أنه شاعر غلبت عليه الفلسفة . بل نذهب إلى أكثر من هذا فنقول إنه شاعر ينزع
إلى التأمل الفلسفي ، لأن قولنا بأن المذهبية الفلسفية لا التأمل هي الغالبة عليه ، ظلم قد يسوقنا
إلى وجهة في النقد مضلة مفسدة . بل ان لدينا دليلاً قاطعاً على أنه شاعر قبل أن يكون متأملاً
في الفلسفة . فان جماع ما قال من الشعر عبارة عن فن من القول الشعري عبّر به عن آراء ذاعت
في عصره نقلت عن فلاسفة العالم الخاف به ، تلك الآراء التي غزت العقل العربي شمالاً من
اليونان وغرباً من الاسكندرية وشرقاً من فارس والهند ، فهو القيامة الشعرية التي ارسلت
لغات من التأمل الفلسفي عبرت أقوى تعبير عن نزعات عصره الفكرية ، فليس لنا أن نؤاخذ
على ذلك التناقض الذي بدا في بعض أشعاره إزاء مذاهب تباينت فيها آراء الفلاسفة تبايناً ،
وليس التناقض الذي تقع عليه في شعر أبي العلاء إزاءها إلا تعبيراً صريحاً عن اختلاف
وجهات النظر الفلسفي فيها .

وقد أثبت المؤلف الفاضل وجهة نظرنا في جميع صفحات الرسالة . فانه عندما تناول
الكلام في مختلف نواحي نظراته الفلسفية ردها إلى أصول انحدرت منها ، كما أنه مهد للكلام
في تأملات أبي العلاء بكلام العلامة عبد العزيز الميعني الراجكوتي وهو في لبه اجمال لما ذاع في
عصر أبي العلاء من الآراء الفلسفية وهي النبع الذي استقى منه شاعر الفلاسفة جميع تأملاته .
والرسالة في جملتها من الدراسات القوية التي تمتاز بسلاسة الأسلوب ووحدة الفكرة والبيان .

كتب حديثة ظهرت

لوديع فلسطين

١ - تاريخ ما قبل التاريخ

لعبد الله حسين - مطبعة الشباب الحديثة

مؤلف علمي جليل كتبه الأستاذ عبد الله حسين المحامي خُصص بين علوم الجيولوجيا والانتروبولوجيا والحيوان والفلك والتاريخ والاجتماع والفلسفة والأديان. وقد حلا للاسناد عبد الله أن يلخص محتويات الكتاب فقال في مقدمته: «أما موضوعه فانه يتناول تلك العصور البعيدة التي سبقت الحضارات التاريخية القديمة المعروفة مبتدئاً بالكون وظهور الحياة على الكرة الأرضية طارداً التقلبات الطبيعية ونشوء الانسان وغازته وانتاجه المادي والعقلي. ولما كان هذا الموضوع يتطلب من الاستقصاء والاستيعاب ما تقصر عنه هذه الصفحات، كان حماداي أنني جمعت أصوله ونسقت فصوله وأوجزت تفاصيله ميسراً للمستزدين أن ينهلوا من مراجعه المدونة في آخره... داعياً أبناء مصر والعروبة الى استكمال بحث هذا الموضوع». وصدر المؤلف كتابه بشعار اتخذه لنفسه: «كل كتاب جديد لا يضيف جديداً إلى المعرفة، إما أن يكون رجعاً لصدى غيره، أو لغواً غير جدير بعناء القراء».

فكتاب «تاريخ ما قبل التاريخ» من أفضل المراجع التي تمرد تاريخ الحياة على الأرض وكيف تكونت الكرة الأرضية والاجرام السماوية، وكيف ظهرت الحياة على وجه البسيطة. وهو يعرض نظريات أفلاطون وأرسطو ودارون وغيرهم. ثم يكف المؤلف على دراسة المعادن المختلفة ونصيب مصر منها، ويروي قصص الكتب المقدسة عن الخليفة والطوفان وغيرها من الحوادث الهامة التي سبقت التاريخ، ويمرر فصولاً في الأديان وفلسفتها، والسحر والدجل والطب والصيدلة. ثم يعود فيضمن كتابه فصلاً عن اللغة والكتابة والطباعة، ثم يتبعه بفصل آخر عن الصناعة والمعادن المختلفة والتقاليد القومية ويعرض لموضوع المكيفات والجمور، ثم يكتب عن الفن والادب والتشيل والشعر، ويختم كتابه بفصل عن مؤتمرات الرياضة الدولية وقراءة الكف وشرح مبدأ التصوف.

ب — لافوازييه

لعبد الحميد يونس وعبد العزيز أمين — مطبعة المعارف بمصر — سلسلة إقرأ

ليس من يجمل لافوازييه وفضله العظيم على العلم التجريبي وتقانيه في خدمة الانسانية طريق هذا المضمار . وقد أصدرت مكتبة المعارف أخيراً كتاباً عن لافوازييه ترجم فيه عن حياته الأستاذان عبد الحميد يونس وعبد العزيز أمين . وذكر ثانيهما في مقدمة الكتاب أنه وقف في صيف عام ١٩٣٧ في شارع « لامادلين » بمدينة باريس غير بعيد عن دار الأوبرا أمام تمثال « لافوازييه » العالم الشهيد ، فذكر انه ولد عام ١٧٤٣ ، وأن فرنسا خاصة والعالم المتحضر عامة سوف يحتفل بعد ستة أعوام بمرور مائتي عام على مولده .

« وانقضت السنوات الست ، فإذا فرنسا ، بل وإذا الانسانية المتحضرة كلها ، قد صرفتها الغاشية العامة عن لافوازييه وغير لافوازييه . وقد رأيت برّاً بهذا العالم الشهيد الذي أتى في علم الكيمياء بما يشبه الخوارق ، وهو العلم الذي أعيش له وأعيش عليه ، أن أقدم إلى قراء العربية هذه الترجمة المتواضعة إحياءً لذكراه . »

يشتمل الكتاب على ترجمة لحياة لافوازييه وسرد لفتوحاته في عالم العلم ونشاطه في الحذب على دور العلماء ومؤسساتهم وتضحياته في سبيلها بكل شيء . كذلك يحتوي الكتاب صوراً من نشاط لافوازييه السياسي ، وكيف استشهد ضحية لغدر السياسة الخمقاء . وفي ذلك يقول المؤلفان : « صعد الى المقصلة رابط الجأش . وما هي إلا لحظة حتى كانت الثورة الفرنسية قد ارتكبت أشنع جريمة في تاريخها إذ حزّت المقصلة رأس لافوازييه ، وفصلت بذلك عن فرنسا أعظم عظمائها . »

وليس ثمة ريب في عبقرية لافوازييه . فقد استطاع وهو حدث أن يعدّ مشروعاً ضخماً لإضاءة باريس بطريقة اقتصادية سهلة . واستطاع وهو شاب في مقتبل العمر أن يجالس كبار العلماء ويناقشهم مناقشة الندّ للندّ ، بل إنه حطّم كل تقليد وأصبح عضواً في أكاديمية العلوم الفرنسية ولما يتجاوز الخامسة والعشرين .

هذه بعض النواحي الظاهرة في حياة لافوازييه ، وقد بسّطها العالمان الشابان عبد الحميد يونس (لا عبد الحميد كما ذكر خطأ في عددٍ سابقٍ من المقتطف) ، وعبد العزيز أمين ، في السكتيب العلمي « لافوازييه » .

ج - قصة البنسليين

للدكتور مصطفى عبد العزيز - مطبعة المعارف بمصر - سلسلة اقرأ

وثمة كتاب علمي ثالث يبحث في قضية من أحدث القضايا التي تشغل الرأي العام في العالم وتذهله . فما أكثر الأسئلة التي لاكت كلمة البنسليين في السنوات الأخيرة ، وما أطول ما كتبته الصحف عن تلك المادة السحرية العجيبة التي تُعد أعظم الكشوف العلمية الحديثة وقد عنَّ للدكتور مصطفى عبد العزيز أن يفرد كتاباً خاصاً عن البنسليين يذكر فيه قصته باطناب ، مراعيًا الرويَّة العلمية في الكتابة والدقة في المرد . فكان مجهوده موفقاً إذ استطاع أن يجمع بين شتات المعلومات التي لم تعرف بعد طريقها إلى الكتب العربية ، ورتبها ، وسلسلها ، وعزَّزها بالصور والرسوم ، فخرج كتاباً شاملاً يستطيع الرجل العادي أن يقرأه ويستوعب محتوياته دون عناء كبير .

ولما كان البنسليين نوعاً من الفطر ، فقد رأى الدكتور مصطفى أن يبدأ كتابه بتوضيح أنواع الفطريات ومزاياها وأضرارها ، وانتقل من ذلك إلى التحدث عن الأمراض الخبيثة التي تولدها البكتيريا والميكروبات وهما الأمراض التي لولا كشف البنسليين لظلت كالسيف المسلط على رقاب البشر ، ترعى وتفتك بلا ضابط أو رادع ولكن شكرًا للاستاذين فلانج وفلوري الذين كان لهما الفضل في كشف البنسليين والتبحر في دراسته حتى أمست عقَّارات السلفا لا تعد شيئاً مذكوراً إلى جانبه ، وهما العقَّارات التي كانت إلى وقت قريب تُعدُّ إحدى معجزات الطب الخارقة .

وقد جاء في خاتمة الكتاب : « وإذا كان لكل قصة من قصص الحياة مرماها ومغزاها ، فغزى قصة البنسليين هو ذلك الصراع المستمر بين الكائنات من فطريات وميكروبات » تلك قصة البنسليين ، فاتنة الدنيا في القرن العشرين !

قاعدة جليلة

في التوسل والوسيلة

أصدرت دار المنار الطبعة الرابعة من هذا الكتاب لشيخ الاسلام ابن تيمية حرر فيه أهم المسائل الدينية التي اضطرب فيها المتأخرون ، وبين مذهب السلف الصالح فيها وهي : التوسل والاستغاثة والدعاء والسؤال والشفاعة والقسم على الله ببعض مخلوقاته والاستسقاء والزيادة والخوارق وحدود التوحيد والمشرک وحق الله على عباده وحقهم عليه والفرق بين المخلوق والمخلوق والقول في التشريع ومراتب الحديث والمحدثين .

بَابُ الْأَخْبَرِ الْعَلَمِيَّةِ

البحث الحديث وسموم الافاعي والعقارب

مختلفة من الأمصلة الواقية من سمومها وعليه أن يكون جامعاً لجميع حواسه حين يلدغ ليعرف نوع الافعى التي لدغته ليستعمل المصل الخاص بها والذي بقي من فعل سمها . والعلماء ماضون في البحث للتغلب على هذه الصعوبة . ولا ريب في أنهم بالنعون الغرض وفقهم الله .

يؤخذ السم من الافعى بجعلها تعض بأنيابها على إناء زجاجي مستطيل تحيط به مادة غروية . فيستقطر من كل أفعى ٣٠ قطرة من السم إلى ٤٠ قطرة . أو يقبض على الافعى وتذلك فوق الغدد التي تحتوي على سمها ، فينقطر السم من فائسها . ثم يحقن هذا السم في حصان حقناً متزايدة المقدار ، مدة ١٦ شهراً في الغالب وبعد ما تنقضي بضعة أيام على الحقنة الأخيرة يقصد الحصان ، ثم يعاد فصدته ثلاثة أشهر بعد ذلك ، ويحضّر المصل الواقي من السم كما يحضر مصل الدفتيريا . وبمرنا أن نقول أن للدكتور شوشه بك وكيل وزارة الصحة مباحث على جانب عظيم من خطر الشأن في تحضير المصل الواقي للتطعيم ضد سم العقارب . ولا جدال في أن لدغ العقارب منتشر في بعض انحاء القطر

ليس هذا مجال الحديث المفصل في ما يصنع من أنواع اللقاح والمصل للأمراض المختلفة ولكن لا يفوتنا أن نذكر طرفاً من عجيب الباحث الحديثة التي تمت في العصر الحديث لصنع مصل بقي من سموم الافاعي والعقارب وهذا المصل استطاع الانسان أن يفوز في النزاع بينه وبينها .

وقد أخذت المصانع الطبية تصنع مصلاً يدعى انثيتمين يرجع الفخر في اكتشافه إلى الدكتور كالميت الفرنسي ، بقي من لدغ الافاعي في أميركا الشمالية . وغيرها كالافعى السمكة ذات الأجراس ، والافعى ذات الرأس النحاسي وهو يباع في أنابيب يستطيع الصياد أو الرحالة أو أي شخص آخر معرض للدغ الافاعي أن يحمّله في جيبه ويجب أن يستعمل حالاً بعد حصول اللدغ أو على الأكثر في أثناء ١٢ ساعة إلى ٢٤ ساعة بعد اللدغ ويبقى فعالاً مدة خمس سنوات بعد تحضيره .

ومما يؤخذ على هذه الطريقة أن نوعاً واحداً من المصل لا يستطيع أن بقي من كل أنواع سموم الافاعي ، فالرجل الذي يتعرض للدغها يجب أن يكون حاملاً في جرابه أنواعاً

وإن تكن صعبة الاستعمال وخطرة على الحيوانات المحقونة إلا أنها المستعملة في تحضير المصل الواقي من لدغ العقرب .

وقد استخرج الدكتور شوشه بك بعد ذلك القواعد العلمية التي يمكن بمقتضاها تحضير المصل الواقي من لدغ العقرب فيحدث مناعة فعالة وأثبت أن الأراب والخناسير الهندية يمكن اكسابها مناعة فعالة بحقن المصل المحضر في طريقته ، وإذا يمكن تحضير المصل الواقي من لدغ العقرب من الخيل بدون تعريضها للخطر الذي كانت تتعرض له في طريقة طرد القديمة .

المصري وخصوصاً في بعض أنحاء القاهرة والواحات والصعيد ، وينجم عنه جملة وفيات كل سنة بين الأطفال عادة .

ففي سنة ١٩٢٢ مثلاً حدثت ٨٣٦ وفاة بلدغ العقارب

وقد أثبت الدكتور طلعت سنة ١٩٠٤ أنه يمكن تلقيح الماعز ضد سم العقرب وأن مصل الماعز الملقح يبطل فعل هذا السم وتوسع الدكتور طد سنة ١٩٠٨ في هذا الموضوع ونجح في تطعيم الخيل ضد هذه السموم فوجد أن مصل الخيل المطعمة ذو فائدة في علاج المصابين . وهذه الطريقة

من معجزات العلوم والفنون

أعظم اكتشاف زراعي

بمقدار طفيف لا يزيد على ملء نصف ملعقة من ملاعق الشاي من المواد الكيميائية التي منصفها لك فيمالي . فتمكن من إنتاج فواكه وأزهار ضخمة وتوقف نمو غيرها بحيث لا تعدو جزءاً من حجمها الأصلي وتنمي نباتات عجيبة جداً في أشكالها .

وبهذا العلاج الكيميائي الطريف يتسنى علاج النبات الضعيف وجعله قوياً وتوليد طماطم خالية من البذور ثم قلب النبات وجعل جذوره تنمو فوق ساقه . وفي وسعك إذا شئت أن تقلع هذا النبات من منبتة ثم تعيد غرسه بالعكس بحيث تدفن أوراقه في التربة

اكتشف الدكتور جوستاف اجلوف رئيس المعهد الكيميائي الأمريكي أن مسحوق الكوليكين وهو مسحوق أصفر مسحري يضاعف حجم الخضراوات . وتكهن عن مستقبل منافعه بقوله أنه يبسر زراعة أنواع جديدة من الفواكه والخضراوات فآثرت تفصيل هذا الاكتشاف العجيب نقلاً عن إحدى المجلات العلمية الأميركية :

في وسع المرء أن يصبح عالماً عبقرياً من علماء النبات الذين تمكنوا من الاحتمال على الطبيعة . وقد يتاح له أن يفوق في هذا الفن الحديث ما بلغه برنك في زمانه وذلك

وتبقى جذوره في الهواء فلا يلبث أن يتأصل في الأرض من جديد وتنمو فيه أغصان جديدة .

وهذه الأمور جميعها بل ما هو أكثر منها يتسنى آداؤها بمساعدة هرمونات وفيتامينات نباتية صناعية حديثة الاكتشاف وما زالت بعض النتائج التي تفتجها لا تخلو من الغموض إلى حد ما . أو هي كما قال أحد الزراع (أمور لا نستطيع إدراك

كنها) فيكفي القول « إنها وسائل تتخذ لتنظيم نمو النباتات » أو بتعبير آخر إنها وسائل تساعد الزراع على اكثار الحاصلات وتحسين أحوالها . ومن شأن هاتيك المواد الكيميائية تقوية البنية حتى تستطيع شق طريقها في التربة شقاً أسرع من المألوف . ثم توليد جذور أضخم من المعتادة تفتح نبتة قوية تحمل فاكهة يانعة من طراز واحد .

الهرمونات الجديدة تقمع الآفات الزراعية

ويمكن بعض هذه الهرمونات الجديدة المعاونة على قمع الآفات الزراعية . كما إن بعضها يسوغ استعماله لتأخير النمو الطبيعي للنبات . وهذا من شأنه وقاية المحصول من أضرار تقلب الأجواء في حالة نموه عاجلاً بحرارة مباغتة قبل زوال خطر الصقيع .

ومنها هرمون يرش على شجر التفاح فيثبت ثمره في أغصانه حتى يتم علاجه فيتقى البستاني الخسائر التي تنشأ عن سقوط التفاح بنفسه أو بالرياح . وكذلك يتممر منع بعض الخضرافات من التزريع حين تخزينها كالبصل والبطاطس بأن ترش اكياسها بأحدى تلك المواد الجديدة

أسماء الهرمونات ومنافعها

— وتعرف هذه المركبات الكيميائية التي تحدث هذه المعجزات الزراعية بأسماء فنية هي كما يأتي : —

حامض الايندول أسيتيك Indole acetic والليفوليتيك levulinic acid ونفثالين أسيتاميد وفيتامين ب رقم ١ — وغيرها من الفيتامينات . والعالم الأمريكي الذي يستعمل هذه المواد وغيرها هو جورج تي وارنر صاحب المباحث الأصلية في استعمال فيتامين

ب — ١ — في النبات وذلك لصنع أشياء جمّة مما يستطاع صنعها في معهد مباحثه في مدينة إسادين في كليفورنيا حيث يشاهده الزائر يرش قطرة من أحد السوائل في وعاء يحوي أزهاراً مقطوفة فتظل غضة أسبوعاً كاملاً . ولا غرو فقد تناول الأستاذ ورنر عقل أزهار الكاميليا ، وهي مشهورة بكونها عسيرة التأصيل كل العسر ، فتنعها في مائل كماء وذلك قبل غرسها في التربة . فلما غرست

من النتائج ولكن ربما تحقق الآمال في بعض الأحوال لأن النباتات جميعها ليست صالحة بدرجة واحدة لقبول التقوية العظيمة التي تنجم عن الهرمونات في أغلبها . كما إن هاتيك المواد الكيميائية لا تنتج نتائج عجيبة في التربة التي تزرع بالمواد القلوية . فعلى الزارع الحذر في اتباع الارشادات الخاصة بأية مادة من هذه المواد الكيميائية الجديدة القوية لنمو النباتات إذ تقضي تلك التعليلات باضافة قطرة واحدة من أحد محاليلها الى كل خمسة جالونات من الماء الذي يستعمل لري النبات أو رشه . وهذه هي الجرعة المعتادة . أما إذا اشتد تركيز حامض الايندول أسيتيك فإنه يقتل النبات . وكذلك المحلول الضعيف من المادة عينها يقف نمو النبات فيجعله ناضجاً وهو ما زال نغاشياً ^(١) . على حين أن للمحلول الضعيف جداً من المادة نفسها تأثيراً عكسياً إذ يجعل النبات نصيراً

بعد ذلك ، ولدت مجموعات قوية من الجذور في أسبوعين . وبقيتا من ب رقم ١ — وغيره من المواد الكيميائية أتبع لذلك العالم توليد جذور لأي نوع كان من عقل النباتات التي يعاوها الحائض حي فيجعلها تنمو نمواً منظماً . والخصراوات ونباتات الأزهار والشجيرات والاشجار التي يعالجها على هذا النمط ، تنضج قبل غيرها ، وتكتسب رونقاً أجمل منه في أخواتها وتكون أقوى من مثيلاتها التي حرمت العلاج . وأوضح في وسم الزارع الأمريكي أن يحذو حذو ورز وزملائه من الباحثين في كثير مما فعلوا من المعجزات الزراعية لأن كثيراً من المواد الكيميائية التي يستعملونها توجد في أسواق أمريكا على شكل مزيجات تحتوي على مواد منبهة للنمو مختلفة الأنواع تستعمل لأغراض شتى . وما على الشاري إلا أن ينتقي منها الصنف الذي أثبت الاختبار صلاحيته لما يصبو اليه زراعه

كيف تولد الصفات الممتازة في النباتات

ويمكن الحصول عليه من الصيادلة كسائر المواد الكيميائية المشار اليها . وتكفي قطعة صغيرة منه للقيام بالعمل المقصود . فيذاب جرام من العلاج في عن جالون من الماء المقطر . ويمكن تخفيفها أيضاً عند استعمالها . أو يستعمل عشرة مليجرامات من العلاج ممزوجة بجرام من دهن الصوف lanolin fat

أما إذا أريد توليد صفات ممتازة في النباتات فيستعمل نوع آخر من المواد الكيميائية السابقة الذكر ونخص منها العلاج colchicine وهو سم زطاف يستخرج من جذور الكركم الخريفي autumn crocus وكان هذا العقار يعد في أحد العصور الغابرة من الادوية المألوفة لعلاج داء النقرس .

(١) النغاشي — الفزعة بلغة العامة — وهو الذي لم يستكمل نموه الطبيعي في حينه

أوراقاً فائقة الحجم وأزهاراً وأثماراً ضخمة فيجب الاحتفاظ بهذه البذور لإعادة زرعها ومحمّل أن تكون عقيمة وربما تنتج نباتات تحمل ثماراً مبكرة قبل غيرها من جنسها أو تكون مقاومة للعطش أو تصير ذات مميزات جديدة . والوسيلة الوحيدة لمعرفة النتائج هي استمرارها .

وبدلاً من تقع البذور في المحلول المشار إليه يمكنك استعمال قطرات قليلة منه في الماء كرش يرش به النبات عدة مرات كل أسبوع فتحصل على النتائج عينها

ومن الوسائل العلمية الدائمة الاستعمال تربية طائفة من البذور أو النباتات التي لم تعالج بهذا العلاج الكيميائي (الاحلاج) وذلك في حوض من حياض الرقابة ليتسنى لمربيها المقابلة بين نتائج النباتات المعالجة وغير المعالجة .

فيكفي لكثير من التجارب ، إنما يجب إبعاد كل من ذينك المزيجين عن الأيدي ، والوجه لأن كلا منهما سم باطني خطر .

ويبدو لنا أن الاحلاج يشل وظيفة انقسام الخلية في النبات . وهذا مما يسبب مضاعفة الصبغيات (الكروموسومات) في الأجزاء النباتية التي تستهدف له . والصبغيات هي عوامل الوراثة في النبات . وأي تغيير يحدث في عددها يغير أيضاً مميزات النباتات .

وتتجلى هذه التغيرات في الجيل الثاني من حياتها . ويمكنك تقع البذور بضع ساعات أو أيام في محلول مخفف من الاحلاج وتجفيفها ثم بذرها كالمعتاد . ومن الصعب التكهن بدقة عن النتائج التي تعقب ذلك ، ولكن مما لا شك فيه أن النبات ينمو نمواً مشوهاً فاسداً وينتج أزهاراً غريبة الشكل . والبذور التي تنتج من هذه الأزهار هي التي قد تولد

كيف يستعمل الاحلاج وما نتائجه ؟

من سائر الأغصان وأسرع . ثم تحفظ البذور التي تنتج من هذا النبات لتصير وسيلة للوقوف على التغيرات التي تطرأ على الجيل التالي لها .

وتنبت الجذور من الساق في المكان الذي توضع فيه العجينة . وهذه هي التجربة التي يتمكن بها من نقل النبات من تربته ثم إعادة غرسه منكساً . والجذور التي تولد من الاحلاج تنمو في الأرض . عوض جندي

وللزراع الخيار في استعمال عجينة الاحلاج الممزوجة بدهن الصوف (لانولين) استعمالاً موضعياً ، وذلك للنباتات التي تكون قد أخذت في النمو فيدهن ساق النبات بمسواك مغموس بقليل من العجينة الكيميائية المذكورة آنفاً . أو وضعها على رؤوس النباتات أو على غصن من أغصانها فلا يلبث الجزء المدهون منها أن يشتفخ . وكذلك مرغان ما ينمو الغصن المعالج فيصير أضخم

فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس بعد المائة

- ٩٧ أَلغاز العلم : لغز عصر الجمد ، لغز الأشعة الكونية ، لغز الزكام : بقلم فؤاد صروف
- ١٠٤ على هامش الطب : للدكتور سليمان عزمي باشا
- ١٠٨ المرأة ثم المرأة : لاسماعيل مظهر
- ١١٣ مبدأ سيادة الدولة وقضية السلم العالمي : للاستاذ صلاح الدين الشريف
- ١١٨ القيل ذلك المجهول
- ١٢٢ في الكوخ (قصة) : عن فاندافاميلفسكا
- ١٣٣ وصايا صحية : الفاكهة في الغذاء اليومي — الاحتياط في تناول الطعام
- ١٣٤ التراب يغزو الموت
- ١٣٨ أقوال ، قطعة شعرية : للرّمّاح بن مَيّادة
- ١٣٩ تأثير الآلات الحديثة في حياة الفلاح المصري من حيث الثروة والعمل
- ١٤٤ مراسلات مع الريح — فوق الصخرة السوداء
- ١٤٨ الكهرباء وتشخيص الأمراض — طرق ثابتة لا تكذيبك ولا تضلّك
- ١٥٢ قمة الدنيا — إلهامك الروحي قد يرفعك لحظات إليها
- ١٥٥ عرف العرب أميرة قبل أن يعرفها أبناء الغرب : للأب أنستاس ماري الكرملي
- ١٦١ وحدة الوجود أمذهب أم فكرة ؟
- ١٦٤ كل مرحاً تعش طويلاً
- ١٦٥ تاريخ يومك ما هو ؟ التقويم العالمي يكفيك إلى نهاية الدهر
- ١٧٠ مآثورات لابن المقفع : عن بيدبا الفيلسوف
- ١٧١ حذار من أمراض البرد
- ١٧٥ في مصر القديمة : للدكتور باهور لمبب
- ١٧٨ مفردات نباتية : لمحمود مصطفى الدمياطي بك

- ١٨٢ مكتبة المقتطف * الفتح مستمر . الطب التجريبي . مدخل الى دراسته . من حرب عالمية الى سلم عالمي . اعلام الاسلام : محمد عبده . أبو الغلاء المعري فيلسوف الشعراء . كتب ظهرت : لوديع فلسطين . ١ - تاريخ ما قبل التاريخ . ب - لافوازيه . ج - قصة البنسليين . قاعدة جلية في التوسل والوسيلة .
- ١٩١ باب الاخبار العلمية * البحث الحديث ومموم الافاعي والمقارب . من معجزات العلوم والفنون . الهرمونات الحديثة . قمع الافات الزراعية . أسماء الهرمونات ومناافعها . كيف تولد الصفات الممتازة في النباتات . كيف يستعمل اللقاح وما نتائجه ؟ لموض جندي

عدد مارس من المقتطف

بعض موضوعات العدد

الانقسامات والحروب	على هامش الطب : سليمان عزمي باشا
عدو الكذب : قصة : حسين المهدي سنام	العالم العربي : اسماعيل مظهر
اوتيااد جزيمة العرب : للاستاذ محمد	لحظة الصفر : قصة
عبد الغني حسن	الضمان الاجتماعي : مشروع بفردج من ناحيته :
المخترعات الحديثة في خدمة المجتمع : محاضرة	التاريخية والاجتماعية
لاحمد زكي بك	الدبلوماسية البابوية : صلاح الدين الشريف
مفردات النباتات الطبية : للاستاذ محمود	الريف والزراعة في الولايات المتحدة :
مصطفى الدمياطي بك	وديع فلسطين
مكتبة المقتطف	اصلاح الخط العربي : الدكتور متى عقراوي
باب الاخبار العلمية	الخطايا العشر : عشر خطايا اجتماعية تسبب

وغير ذلك من المقالات والبحوث ، مدبجة بأقلام كبار الكتاب في العالم العربي